الموسوعة الصغيرة

١١٦

البحث البلاغي عند العرب

تأليف

د. أحمد مطلوب

المؤلف في سطور
الدكتور احمد مطلوب

- ولد في تكريت يوم الاحد ٢٥ تشرين الاول ١٩٣٦.
- اكمل الابتدائية والمتوسطة في تكريت والثانوية في كربلاء وبغداد.
- تخرج في كلية الآداب ببغداد سنة ١٩٥٦ بدرجة امتياز خاصة.
- اكمل الماجستير في كلية الاداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٦١ والدكتوراه برتبة الشرف الاولى سنة ١٩٦٣م.
- تقلّد عدة مناصب وهو الان استاذ البلاغة والنقد في كلية الآداب بجامعة بغداد.
- درّس وحاضر في جامعات عربية واجنبية.
- أصدر اربعة عشر كتابا في البلاغة والنقد والتعريب.
- أصدر اربعة عشر كتابا تراثياً في البلاغة والشعر واللغة.
- أخر كتبه معجم البلاغة العربية في ثلاثة مجلدات.
- شارك في وضع سبعة كتب مدرسية في النحو والبلاغة والنصوص.

الموسوعة الصغيرة

(١١٦)

البحث البلاغي
عنـــد العرب

تأليف د . أحمـد مطلوب

منشورات دار الجاحظ للنشر ـ بغـداد

الجمهورية العراقية ١٩٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذه أوراق توجز نشأة البلاغة العربية ، وتحدد أهدافها ، وترسم مناهجها ، وقد أريد لها أن تظهر في وقت أعرض الناشئة فيه عن تراث الامة واصول لغتها المعطاء .

والبلاغة من العلوم العربية التي لم تنضج ولم تحترق — كما يقول القدماء — فباب الاجتهاد فيها قائم ، وسبيل الرجوع اليها متصل ما دامت العربية خالدة ، وما دام اسلوبها زاد المنشئين . وقد نشأت لتصون التراث وتضع المعالم في الطريق ، وكانت قضية الاعجاز اهم ما شغل به الدارسون ، وكانت القدرة البيانية انبل ما سعى اليه الشعراء والكتاب حين ازدهر الأدب وبنى العرب حضارتهم التي عمت الافاق . ولو قدر البلاغة أن يستمر عطاؤها لكان لها شأن غير ما وصلت اليه في الفترة الحالكة التي مر بها العرب بعد عام ٦٥٦ للهجرة .

والحديث عن البلاغة طويل ، والبحث في مناهجها يطول ، ولكن هذه الاوراق تضع المعالم وتدفع الباحثين الى اقامة ما لم يخطه السلف او ظنوا ان فيه الغنى في عهدهم ، وما هو بالمغني في هذا العصر الذي تطورت فيه اللغة العربية واستحدثت فنون لم يكن لها ظل في كتب المتقدمين .

ان هذه الاوراق تقف عند اهم قضايا البحث البلاغي عند العرب ، وهي قضايا تتضح في النشأة والاهداف والمؤثرات والاتجاهات والمناهج ، وان لم يتم التفصيل في بحثها ـ لانها تهدف الى الثقافة العامة والى اثارة الهمم ـ فانها جمعت ما استطاعت أن تصور به ذلك البحث ، وترسم المنهج الجديد ، وهو منهج سداه التراث ولحمته الاتجاهات المعاصرة في عالم الفكر والتأليف . فان اصاب الهدف فذلك ما سعى اليه البحث جادا ، وان اخطأ المرمى فهو راي يعرض له التقويم وينالـه الاصلاح ؛ لان البلاغة فن لا يقف عند تصور باحث واحد ولا يحده عصر من العصور .

والله ولي التوفيق .

الدكتور احمد مطلوب

١٠ حزيران ١٩٨١م

٨ شعبان ١٤٠١هـ

الاربعاء

(١)

النشأة

البلاغة علم من علوم اللغة العربية ، وكانت من مقاييس النقد الأدبي منذ عهد مبكر ، بل هي روح الادب تعلم صنعه وتبصر بنقده .

والبلاغة ـ لغة ـ الوصول والانتهاء وفي لسان العرب : « بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا : وصل وانتهى . تبلغ بالشيء : وصل الى مراده . الابلاغ : الايصال . بلغت المكان بلوغا : وصلت اليه ، وكذلك اذا شارفت عليه ». واشار ابن منظور الى المعنى الاصطلاحي فقال : « البلاغة » : الفصاحة ، والبَلْغُ والبِلغ : البليغ من الرجال . ورجل بليغ وبَلْغ وبِلْغ : حسن الكلام فصيحه ، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه ، والجمع : بُلغاء . وقد بَلُغ بلاغة : صار بليغا »(١) .

وهذا هو المعنى العام لكلمة « البلاغة » فهي اولا الانتهاء والوصول ، وهي ثانيا الفصاحة وحسن القول . وقد جاءت في القرآن الكريم بهذين المعنيين ، فمن الاول قوله تعالى : « ولما بلغ أشده »(٢) وقوله : « وبلغ اربعين سنة »(٣) وقوله : « وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس »(٤) ، وهذا هو الوصول والانتهاء ، اما المعنى الثاني فكقوله تعالى : « فأعرض

عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا »(٥) ، ويقع تفسير ذلك على وجهين :

الاول : ان يكون بذاته بليغا ، وذلك بان يجمع ثلاثة أوصاف : صوابا في موضوع لغته ، وطبقا للمعنى المقصود ، وصدقا في نفسه ، ومتى اخترم وصف من ذلك كان ناقصا في البلاغة .

الثاني : أن يكون بليغا بأعتبار القائل والمقول له ، وهو أن يقصد القائل أمرا فيرده على وجه حقيق أن يقبله المقول له . وقوله تعالى : « وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا » يصح حمله على المعنيين (٦) .

ولا يبعد عن هذا المعنى العام ما جاء في كلام رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وان كان يقول : « ان الله يبغض البليغ الذي يتخلل بلسانه » ، يريد بذلك التشادق والثرثرة لا القول البليغ الذي أشار اليه كتاب الله ، ووصف به نبيه عليه السلام .

ومرت كلمة « البلاغة » بهذا المعنى اللغوي العام ، وظلت سنوات تحمل فن القول حتى اذا بدات علوم اللغة العربية تظهر وأخذت العلوم تستقر ، ظهر معناها العلمي الذي أبعدها عن حسن القول وبديع البيان ، فقال السكاكي : « هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وايراد التشبيه والمجاز على وجهها »(٧) . وهذا تعريف علمي

يحدد أسس البلاغة ويضع موضوعاتها في أبواب وفصول يقرأها المتأدب ليصل الى الصيغ البليغة حينما يريد أن يتحدث أو يكتب . ولكن تعريف السكاكي قاصر عن فنون البلاغة لانه لم يدخل علم البديع في ابوابها ، فهو وجوه يؤتى بها لتحسين الكلام ، وهذه الوجوه ليست من مرجعي البلاغة : المعاني والبيان .

وكان الخطيب القزويني آخر من وضع معالم البحث البلاغي ، وقد فرق بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم فقال عن الاولى : « واما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته »(٨) . ومقتضى الحال مختلف ، ومقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الايجاز يباين مقام الاطناب والمساواة ، وخطاب الذكي يباين خطاب الغبي ، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام . وقال القزويني عن الثانية : « وأما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ »(٩) . وقسم البلاغة ثلاثة أقسام :

الاول : علم المعاني ، وهو « علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال »(١٠) . وهذا التعريف يختلف عن تعريف السكاكي وهو ان علم المعاني « تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل

بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره »(١١) . وهذا أقرب معنى وأكثر دقة لان الموضوعات التي تبحث في علم المعاني تتصل بالتراكيب وما يقع بين الجمل من تقديم وتأخير ، وحذف وذكر ، وقصر وغيره ، وفصل ووصل ، وما يطرأ على الكلام من أساليب متنوعة كالخبر والامر والنهي والاستفهام والتمني والنداء ، وما يحدث بين أجزاء الكلام من متعلقات .

الثاني : علم البيان وهو « علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه »(١٢)، وهذا قريب من تعريف السكاكي وهو : « معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه » (١٣) . وموضوعاته هي : التشبيه والمجاز والكناية .

الثالث : علم البديع ، وهو « ما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته »(١٤) وهذا معنى قول السكاكي : « واذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها ، وان الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين، فههنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار اليها لقصد تحسين الكلام . فلا علينا أن نشير الى الاعرف منها وهي قسمان : قسم يرجع الى المعنى ، وقسم يرجع

الى اللفظ »(١٥) . وهذان هما : المحسنات المعنوية ، والمحسنات اللفظية .

ان البلاغة بهذا المعنى الذي استقر عند المتأخرين تعني العلم الذي يبحث في تركيب الكلام وصوره البيانية من تشبيه ومجاز وكناية ، ومحسناته اللفظية والمعنوية . وقد رأى بعضهم في هذا العصر أن يسمى هذا العلم « فن القول » ، ورأى آخر أن يسمى « فن التأليف الادبي » أو « فن الانشاء » أو «علم الاساليب» أو « فن الانواع الادبية » ، وحجتهم في ذلك ان مصطلح « البلاغة » قد رث من كثرة ما تداولته الاجيال وأصبح مقترنا بألوان الادب القائمة التي خلفتها العهود المتأخرة (١٦) . وليست العبرة بتغيير المصطلحات وانما بما يطرأ على مناهج البحث من جدة وطرافة ، ومصطلح « البلاغة » أكثر تعبيرا عن مصطلحات بعض المحدثين ، وهي مصطلحات لا تحمل المعاني الكثيرة التي تحملها لفظة « البلاغة » . فلا « فن القول » ولا « علم الاساليب » ولا « فن الانشاء » تغني عن هذا المصطلح أو تضم كل مباحثه وأقسامه ، لان لكل مصطلح دلالته في لغته ، وان بعضها فقد محتواه وأصبح يضيق بالبلاغة العربية ذات الارث العظيم .

أن مصطلح « البلاغة » يجمع كثيرا من المباحث التي لا يمكن أن تضمها المصطلحات الجديدة كالفصاحة أو دراسة الالفاظ وعلم المعاني وعلم البيان وعلم البديع،

وهي من أقدم الفنون التي عني بها البلاغيون وأولوها اهمية عظيمة ، وكانت دراساتهم المفصلة ونظراتهم العميقة دليلا على تلك الاصالة، وقد عبّر القزويني عن الملكة على انشاء الكلام ونقده تعبيرا دقيقا حينما قال : « واما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ... واما بلاغة المتكلم فهي مقدرة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ »(١٧) . وفي هاتين العبارتين اشارة الى الملكة الادبية والتعبير الادبي ، ولكن المتأخرين لم يحسنوا بحث هذه القضايا ، فظن بعض المعاصرين ان سبب ذلك قصور مصطلح « البلاغة » عن استيعاب الفنون .

ذلك معنى البلاغة كما استقر في كتب المتأخرين ، ولكن كيف نشأ هذا العلم ؟ وهل كان العرب يرجعون الى كتب تعلّمهم البيان ؟

ان الباحث حينما يتلمس البذور الاولى للبلاغة والنقد قبل عهد التدوين والتأليف يجد ان العرب عرفوا كثيرا من الاحكام النقدية التي أعانتهم على تفهم الشعر وتذوقه ونقده . والامة التي أنجبت الشعراء الفحول والخطباء المصاقع لابدّ أن تعرف المعالم التي يختطها الشعراء ويترسمها الخطباء ، واذا كان كثير من الاحكام النقدية لم يصل مع ما وصل من شعر وخطب ، فان بعض تلك الاحكام تناقلته الالسن وتداولته الكتب . وقد وصف القرآن الكريم العرب بانهم اصحاب بيان فقال سبحانه وتعالى : « الرحمن . علم القرآن . خلق

الانسان . علمه البيان »(١٨) . وقال عن حسن كلامهم وشدة أسره وتأثيره في النفوس : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا » (١٩) .

ويمكن ان يستدل الباحث على أن العرب عرفوا كثيرا من الاحكام النقدية والقضايا البلاغية قبل الاسلام بأمرين :

الاول : عقلي لا يمكن انكاره ، وهو انه لا يصدق ان الشعر وصل الى ما وصل اليه في ذلك العصر ، وان الخطابة بلغت ذروتها ، وان اللغة أخذت صورتها ، من غير أن يكون هناك عقل مدبر لكل ذلك ، ومن غير أن تكون هناك أصول عامة تعارف عليها الشعراء والخطباء وساروا عليها فيما نظموا أو قالوا . ومهما تحدث الباحثون عن السليقة العربية الصافية والذوق السليم ، ومهما وصفوا العرب بالفطنة والذكاء ، فأن العقل لينكر أن يكون ما كان من غير ثقافة ودربة ، وقواعد تضيء لهم الطريق وتفتح امامهم سبل القول .

وقد تكون المصطلحات البلاغية والنقدية غير معروفة في ذلك العصر ، لكن الفنون البلاغية التي وردت في الشعر تشهد ان العرب كانوا يعرفون الاساليب المختلفة والصور المتعددة التي تزيد كلامهم جمالا . فمن الاستعارة قول امريء القيس :

وليل كموج البحر أرخى سـدوله
علي بأنـواع الهمـوم ليبتلـي
فقلـت لـه لمـا تمطـى بصـلبه
وأردف أعجـازا ونـاء بكلكـل

والليل لا صلب له ولا عجز ، ولكن الشاعر استعار له ذلك من الكائن الحي . ومثل ذلك من الاستعارة قول النابغة الذبياني :

وصـدر أراح الليـل عازب همـه
تضاعف فيـه الحـزن من كل جانب

وهذا مستعار من اراحة الراعي الابل الى الموضع الذي تأوي اليه .

ومن الجناس قول امرىء القيس :

لقد طمح الطماح من بعـد أرضـه
ليلبسـني من دائـه مـا تلبسـا

فالجناس في « طمح » و « الطماح »وفي «ليلبسني» و « تلبسا » .

ومن الطباق قول امرىء القيس :

مكر مفـر مقبل مـدبر معـا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

والطباق في « مكر » و « مفر » وفي « مقبل » و « مـدبر » .

ومن رد المجز على الصدر قول أمرىء القيس :

اذا المـرء لـم يخزن عليـه لسانه
فليس على شـيء سـواه بخزان

فقوله : « يخزن » و « خزان » من رد العجز على الصـــدر .

ومن المذهب الكلامي قول زهير بن أبي سلمى :

وما يك من خـير أتـوه فانمـا
توارثـه آبـاء آبائهـم قبـل

وهـل ينبت الخطيّ الا وشـيجه
وتنبت الا في منابتها النخـل

وقول النابغة الذبياني يعتذر الى النعمان بن المنذر :

حلفت فلم أترك لنفسـك ريبـة
وليـس وراء الله للمـرء مـذهب

لئن كنت قـد بلغت عني خيـانة
لمبلغك الواشـي اغش وأكـذب

ولكننـي كنت أمرءا لي جانـب
من الارض فيه مستراد ومذهب

ملوك واخوان اذا مـــا اتيتهـــم
أحكـم في أموالهـم وأقــرب

كفعلك في قــوم أراك اصطفيتهم
فلـم ترهـم في مدح ذلك اذنبـوا

ومن الالتفات قول امرىء القيس :

تطـــاول ليلك بالاثمــــد
ونـام الخلي ولـم ترقـــد

وبـات وباتت لـه ليلـــة
كليلـــة ذي العـــائر الارمــــد

وذلــك من نبـــأ جـــاءني
وخبرتـــه عـــن أبي الاســـود

ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم قول النابغـــة الذبياني :

ولا عيب فيهـم غـير ان سـيوفهم
بهـنّ فلـول من قـراع الكتائب

ومن التشبيه قول امرىء القيس :
ومشدودة السك موضونـة
تضـــاءل في الطـــي كالمبـــرد
تفبض على المـــرء اردانهـــا
كفيض الاتيّ على الجدجد(٢٠)

وقولـــه :

كـأنَّ قلوب الطير رطبـا ويابسـا
لدى وكرها العناب والحشف البالي

ومن حسن الابتداء قول النابغة الذبياني :

كليني لهـم يا أميمـــة ناصـــب
وليـل أقاسـيه بطـيء الكـواكب

ومن لزوم مالا يلزم قول طرفـة :

ألـم تـر أنَّ المـال يكسـب أهلـه
فضوحا اذا لـم يعط منـه نواسبه
ارى كل مـال لا محالـة ذاهبـا
وأفضله يبقى وإن مات كاسـبه

ومثل هذه الفنون كثير في شعر المتقدمين ، ومعنى ذلك ان الشعراء كانوا ينزعون منزعا فنيا تعارفوا عليه ، وأنهم كانوا يحسون بما لمثل هذه الفنون من أثـر في الكلام وقيمة في التعبير ، ولن يجيء ذلك الا عن وعـي وادراك وفهم للمعاني المختلفة التي تورثها تلك الالوان البلاغية . وهذا الوعي والفهم يوحيان بأن البلاغة معروفة لا بمعناها التعبيري فحسب وانما بدلالتها الفنية . وهذا ما يؤيد اصالة هذا الفن عند العرب ، ويقطع ما يثار من شكوك وريب في نشأة البلاغة العربية وتطورها .

الثاني : نقلي ، وهو ما أثر عن العرب وما جاء عن خطبائهم ووصف خطبهم وقد كان الخطباء يعتزون ببيانهم ويفخرون بانفسهم ، ولما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر زرى عليه للذي رأى من دمامته وقصره وقلته فقال النعمان : « تسمع بالمعيدي لا ان تراه » فقال : « ابيت اللعن ان الرجال لاتكال بالقفزان ولا توزن بالميزان ، وليست بمسوك تستقى ، وانما المرء بأصغريه : بقلبه ولسانه ، أن صال صال بجنان وان قال قال ببيان »(٢١) .

واستدل الجاحظ من الفاظ « العيي » و «ألبكيء» و « الحصر » و « المفحم » و «الخطل » و « السهب » على ان العرب قبل الاسلام عرفوا كثيرا من عيوب الخطابة والبلاغة ، ولو لا ذلك ما ذكروا هذه العيوب (٢٢) ووصف العرب كلامهم في اشعارهم فجعلوها كبرود العصب وكالحلل والمعاطف والديباج والوشي(٢٣) ووصفوا شعراءهم واضفوا عليهم القابا كالمهلهل والمرقش والمثقب والمنخل والافوه والنابغة . وكان بعض الشعراء يعنى باشعاره وينقحها قبل ان يذيعها بين الناس ، وقد اشتهر زهير بن سلمى بالحوليات ، وكان الحطيئة يقول : « خير الشعر الحولي المحكك » . وهذا يدل على انهم كانوا يعرفون فنون القول ويفرقون بين الجيد و الرديء ، والحسن والاحسن ، ولولا معرفتهم بذلك ماوقفوا طويلا أمام القصائد ينقحونها ، وأمام الشعراء يبدون رأيهم

فيرفعون ويخفضون . وفي كتب الادب والنقد كثير من الاحكام المتصلة بالمعاني واللغة والقوافي ، وهي أحكام أنكرها بعض المعاصرين(٢٤) ، ولكنها تبقى دليلا – مع ما قيل فيها – على أصالة الامة العربية وفطنة شعرائها في تلك العهود التي لم تكن فيها كتب تعلم الفصاحة وفن القول .

أن العرب قبل الاسلام عرفوا كثيرا من الاحكام النقدية والبلاغية ، وحينما نزل القرآن الكريم كان نزوله حدثاً بلاغياً عظيما ، وكان ايمان العربي واعتناقه الاسلام حكما نقديا أدركه بذوقه السليم وفطرته الصافية وخبرته الطويلة . واضفت أحاديث الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – على العرب بلاغة جديدة ، وكانوا يرددون قوله – عيله السلام – : « ان من البيان لسحرا » وكان الخلفاء الراشدون والصحابة يستمعون الى الشعر ويبدون رأيهم فيه ، وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول عن زهير بن أبي سلمى انه « لايتبع حوشي الكلام » وانه « كان لايعاظل بين الكلام »(٢٥) .

وازدهرت الحياة الادبية في العصر الاموي ، وكان الخلفاء يعقدون المجالس ويستمعون الى الشعراءويعلقون على بعض ما يسمعونه ، من ذلك أن عبيد الله بن قيس الرقيات انشد عبد الملك بن مروان قصيدته التي يقول فيها :

يأتلق التاج فوق مفرقه
على جبين كأنه الذهب

فلما سمع عبدالملك ذلك غضب وقال له : قد قلت في مصعب بن الزبير :

انما مصعب شهاب من اللـ
ـه تجلت عن وجهه الظلماء

فأعطيته المدح بكشف الغمم وجلاء الظلم ، وأعطيتني من المدح مالا فخر فيه ، وهو اعتدال التاج فوق جبيني الذي هو كالذهب في النضارة (٢٦) وهذه الملاحظة الدقيقة الهمت قدامة بن جعفر فكرة ان المديح ينبغي ان يكون بالفضائل النفسية لا بأوصاف الجسم وما يتصل بها من الحسن والزينة والبهاء . وكان معاوية بن ابي سفيان قد وقف عند البلاغة من قبل وقال لصحار بن عياش العبدي : « ما هذه البلاغة التي فيكم ؟ » . قال : « شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على السنتنا » . وقال له معاوية : « ماتعدون البلاغة فيكم ؟ » قال : « الايجاز » . قال له معاوية : « وما الايجاز ؟ » قال : « ان تجيب فلا تبطيء وتقول فلا تخطيء » (٢٧) .

وشهد القرن الثاني للهجرة حركة ادبية واسعة وكانت الحواضر تتمخض عن نهضة علمية كبيرة ، ورأى هذا القرن كثيرا من تعريفات البلاغة من ذلك قول

الخليل بن احمد الفراهيدي : « كل ما ادى الى قضاء الحاجة فهو بلاغة ، فان استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقا ولتلك الحال وفقا ، وآخر كلامك لاوله مشابها وموارده لمصادره موازنا فافعل (٢٨) » وقوله : « البلاغة كلمة تكشف عن البقية(٢٩) » وقوله انها « ما قرب طرفاه وبعد منتهاه(٣٠) » . وبدأت الكتب تظهر ومن ذلك كتاب « المعاني » لمؤرج السدوسي وكتاب « الفصاحة » لابي حاتم السجستاني . وبلغت حركة التدوين والتأليف ذروتها في القرنين الثالث والرابع وظهرت كتب التفسير واللغة والادب تحمل في صفحاتها بذور البحث البلاغي الذي استقل منذ عهد مبكر واصبحت البلاغة علما من علوم اللسان .

(٢)

الاهداف

ان الحياة الجديدة التي عاشها العرب بعد أن خرجوا من جزيرتهم دفعتهم الى العناية باللغة والادب وأيامهم ، لانهم وجدوا تحديات كثيرة تعرضت لها اللغة العربية بعد أن دخل في الاسلام قوم أرادوا هدمها وتقويض دولة العرب . وكانت الجهود العظيمة التي بذلها المخلصون ايذانا بظهور علوم اللغة التي أخذت تتطور جيلا بعد جيل حتى أصبحت سامقة لاتقدر عليها هوج الاعاصير .

وقد تظافرت أسباب واهداف كثيرة دفعت العرب الى الخوض في الدراسات البلاغية ، ويمكن تلخيصها في ثلاثة :

الاول : الهدف الديني ، وهو خدمة القرآن الكريم الذي كان معجزة تحدى الانس والجن . ولكي يبرهنوا على أعجازه ويفهموا آياته واسلوبه ليستنبطوا الاحكام منه ، اتجهوا الى البلاغة باحثين فنونها موضحين اقسامها لتكون لهم عونا في فهم القرآن . وكان هذا من اهم الاهداف التي دفعتهم الى البحث والتأليف فيها ، وقد اشار أبو هلال العسكري الى هذا الهدف السامي

بقوله : « اعلم ـ علمك الله الخير ودلك عليه وقيضه لك وجعلك من أهله ـ أن أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله ـ جل ثناؤه ـ علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف اعجاز كتاب الله الناطق بالحق ، الهادي الى سبيل الرشد ، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة التي رفعت أعلام الحق واقامت منار الدين ، وازالت شبه الكفر ببراهينها ، وهتكت حجب الشك بيقينها . وقد علمنا ان الانسان اذا أغفل علم العربية وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التاليف وبراعة التركيب ، وما شحنه من الايجاز البديع والاختصار اللطيف ، وضمنه من الحلاوة وجلله من رونق الطلاوة ، مع سهولة كلمه وجزالتها وعذوبتها وسلاستها ، الى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها وتحيرت عقولهم فيها . وانما يعرف اعجازه من جهة عجز العرب عنه وقصورهم عن بلوغ غايته في حسنه وبراعته وسلاسته ونصاعته وكمال معانيه وصفاء ألفاظه . وقبيح لعمري بالفقيه المؤتم به ، والقاريء المهتدى بهديه ، والمتكلم المشار اليه في حسن مناظرته وتمام آلته في مجادلته وشدة شكيمته في حجاجه ، وبالعربي الصليب والقرشي الصريح أن لايعرف اعجاز كتاب الله ـ تعالى ـ الا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي والنبطي ، أو أن يستدل عليه بما استدل به

الجاهل الغبي . فينبغي من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله ــ تعالى ــ ومعرفة عدله والتصديق بوعده ووعيده اذ كانت المعرفة بصحة النبوة تتلو المعرفة بالله جل اسمه »(١) .

ان هذا الربط الوثيق بين كتاب الله وعلم البلاغة يشير الى ما لهذا العلم من اهمية في فهم القرآن الكريم والوقوف على أسراره واستنباط الاحكام منه ، بعد أن تفشى اللحن في العربية وجنحت اللغة نحــو الضعف ، وترنقت بالعجمة في البلدان التي دخلها العــرب ومعهم نور الله . ولكن أبا هلال العسكري يبالغ في معرفــة هذا العلم ، فهو ليس « أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه » وان كان من أحق العلوم ، لان هناك علوما اخرى أولى من هذا العلم وهــو الحديث النبوي الشريف وأحكام الشريعة التي بها يصان المجتمع ويحيا الناس حياة حرة كريمة . ان أبا هلال ــ مع هذه المبالغة ــ يلمح الى أهمية علم البلاغــــة ويربطه بكتاب العربية الاكبر القرآن الكريم ، وفي ذلك اشــــارة الى الهدف الاول الذي سعى الباحثون الى تحقيقه حينمـــا شرعوا يؤلفون في البلاغة ويضعون أبوابها وفصولها .

الثاني : الهدف التعليمي ، وهو تعليم الناشــئة اللغة العربية ومعرفة أساليبها بعد أن اتصل العرب بأمم شتى ، وأدى ذلك الاتصال الى فساد اللغة ودخول اللحن فيها . يضاف الى ذلك أن كثيرا من المسلمين كانوا بحاجة

الى تعلم العربية وبلاغتها ليفهموا كتاب الله ، وليعيشوا في ظل دولة لغتها العربية ودستورها القرآن . وكانت المقدرة الكتابية في كثير من الاحيان السبيل الموصل الى المناصب الرفيعة ، وكان على من يسعى الى تسنمها أن يكون كاتبا له في الادب وفنونه يد طولى وله أسلوب رفيع . وقد نال آل وهب وغيرهم في العصر العباسي بفضل الكتابة أرفع المناصب وتقلدوا الوزارة وتدبير الدولة ، وتسنم ضياء الدين بن الاثير الوزارة في عهد بني أيوب . فلكي يتعلم العربي الناشيء — في بيئة امتزجت فيها اللغات — لغته العربية ويصبح قادرا على التعبير الحسن والنظم الرائق وانشاء الرسائل البديعة ، ولكي يتعلم لغة دينه ولغة الدولة التي يعيش في ظلها ، ولكي يصل الناس الى أرقى المناصب وأعلى الرتب — كان عليهم جميعا أن يتقنوا العربية . ولا يتم ذلك الاتقان الا بمعرفة ألفاظها وتراكيبها ومعانيها وأساليبها ، والبلاغة احدى تلك السبل التي توصل الى هذه الغاية وتخدمها .

إن الغرض التعليمي كان من أهم تلك الاهداف التي دفعت الباحثين الى العناية بالبلاغة بعد أن ابتعد العرب عن جزيرتهم وفسدت لغة بعضهم لمجاورة الاعاجم أو الحياة بين ظهرانيهم . وكان هذا السبب من الدوافع التي جعلت العرب يفكرون في جمع تراثهم وتدوينه ووضع القواعد والاصول التي تحفظ ذلك التراث وتجعل العرب

مرتبطين به ارتباطا وثيقاً .

الثالث : الهدف النقدي ، وهو تمييز الكلام الحسن من الرديء والموازنة بين القصائد والخطب والرسائل . والبلاغة تعين الناقد كثيرا لانها تقدم له الآلة التي تهيىء له الفهم والحكم ، ولذلك اعتنى القدماء عناية كبيرة بها وألفوا الكتب فيها . وقد أشار أبو هلال العسكري الى الهدفين التعليمي والنقدي بقوله : « ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ومناقب معروفة، منها ان صاحب العربية اذا أخل بطلبه وفرط في التماسه ففاتته فضيلته وعلقت به رذيلة فوته ، عفى على جميع محاسنه وعمى سائر فضائله ، لانه اذا لم يفرق بين كلام جيد واخر رديء ، ولفظ حسن وآخر قبيح ، وشعر نادر وآخر بارد بان جهله وظهر نقصه . وهو ايضا اذا اراد أن يصنع قصيدة أو ينشيء رسالة وقد فاته هذا العلم مزج الصفو بالكدر وخلط الغرر بالعرر واستعمل الوحشي العكر ، فجعل نفسه مهزأة للجاهل وعبرة للعاقل كما فعل ابن جحدر في قوله :

حلفت بما أرقلت حوله
همرجلة خلقها شيظم
وما شبرقت من تنوفية
بها من وحى الجنّ زيزيم(٢)

وانشده ابن الاعرابي فقال : « إن كنت كاذبا فالله حسيبك » . وكما ترجم بعضهم كتابه الى بعض الرؤساء :

« مكركسة تريوتا ومحبوسة بسريتا » فدلَّ على سخافة عقله واستحكام جهله ، وضرَّه الغريب الذي أتقنه ولم ينفعه ، وحطّه ولم يرفعه ، لما فاته هـذا العلم وتخلف عن هـذا الفن . واذا أراد أيضا تصنيف كلام منثور أو تأليف شعر منظوم ، وتخطى هـذا العلم ساء اختياره له وقبحت آثاره فيه ، فأخذ الرديء المرذول وترك الجيد المقبول ، فـدلَّ على قصـور فهمـه وتأخر معرفتـه وعلمـه » (٢) .

فأبو هلال يشير الى الهدفين التعليمي والنقدي ويضع البلاغة في أول الطرق التي ينبغي أن يسلكها كل متعلم أو من يريد أن ينظم قصيدة او يكتب رسالة ، او من يريد أن يوازن بين الكلام فيعرف جيده من رديئه وأحسنه من حسنه .

ويتصل بالهدف النقدي رواية الادب ومعرفة الجيد الذي يروى والرديء الذي ينبغي أن يطرح . وقد أشار ابو هلال الى ذلك بقوله : « وقد قيل : اختيار الرجل قطعة من عقله كما أن شعره قطعة من علمه . وما أكثر من وقع من علماء العربية في هذه الرذيلة ، منهم الاصمعي في اختياره قصيدة المرقش

هـل بالـديار أن تجيـب صـمم
لـو أن حيّـا ناطقـا كلّـم

ولا أعرف على أي وجه صرف اختياره اليها ، وما هي بمستقيمة الوزن ولا موفقة الروي ولا سلسة اللفظ ، ولا جيدة السبك ، ولا متلائمة النسج . وكان المفضل يختار من الشعر ما يقل تداول الرواة له ويكثر الغريب فيه ، وهذا خطأ من الاختيار ، لان الغريب لم يكثر في كلام إلا أفسده ، وفيه دلالة الاستكراه والتكلف »(٤) .

فاختيار النصوص الحسنة لا يتيسر لمن لم يدرس البلاغة ويقف على فنونها وأساليبها ، ولا تغني معرفة اللغة او النحو ، لانهما لا يلمحان الى روعة الصياغة وجودة المعنى وشدة الاسر كما تلمح اليه البلاغة وتشير الى مواطن الروعة والجمال فيه . ولذلك كان الناس يدرسون هذا العلم ليضعوا ايديهم على النصوص الجيدة ويتذوقوها ويحسنوا اختيار الروائع منها . فالبلاغة لتاليف النظم والنثر ونقدهما واختيار الحسن الجيد منهما « بمنزلة أصول الفقه للاحكام وأدلة الاحكام »(٥) كما قال ضياءالدين بن الاثير وهو يتحدث عن علم البيان .

كانت هذه الاهداف وغيرها دافعا قويا حفز العرب والمسلمين للخوض في دراسة البلاغة والتأليف فيها ، وكانت هذه الاهداف غرض المؤلفين جميعا ، ولا يكاد كتاب من كتب البلاغة واعجاز القرآن يخلو من الاشارة اليها . ولعل ما ذكره أبو هلال العسكري في « كتاب الصناعتين » يوضح الغرض ويخدم الفكرة ويعين على

تصور الدوافع التي كان لها الفضل الكبير في ظهور كتب البلاغة والنقد .

وقد تظافرت جهود كثيرة على وضع اسس البلاغة واصولها ، ويتضح ذلك في آثار المفسرين والاصوليين ، واللغويين والنحاة ، والشعراء والكتاب ، والفلاسفة والمتكلمين .

(٣)

المؤثرات

لم يظهر البحث البلاغي فجأة وانما كانت له جذور امتدت الى عهد مبكر ، ولعلها امتدت الى ما قبل الاسلام ولكن ما وصل من أخبار يشير الى أن البذور الاولى ظهرت حينما نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، وحينما كان الرسول العظيم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشيد بالشعر المؤثر ويقول : « ان من البيان لسحرا » ويتحدث بأعذب الكلام وأبلغه ويدعو الى تجنب الالفاظ الموحية بما لا يحسن كقوله : « لا يقولن أحدكم : « خبثت نفسي » ولكن ليقل : « لقست » كراهية أن يضيف المسلم الخبث الى نفسه (١) . وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يدعو الى تجنب حوشي الكلام وغريبه ، ويحث على ترك المعاظلة ويقول عن زهير انه « لا يعاظل بين الكلام » (٢) . وكان علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ يبدع في الكلام ويأتي بنهج البلاغة وروائع البيان .

ولم تصل البلاغة الى ذروة نضجها لولا تظافر عدة عوامل وجهتها ولونت مناهجها بألوان مختلفة .

وأهم المؤثرات التي رفدت البحث البلاغي خلال القرون السبعة الاولى بعد الهجرة المحمدية هي :

الاول : المفسرون والاصوليون ، وكان ذلك من أثر القرآن الكريم الذي نزل حجة بلاغية كبرى ومعجزة أدبية عظمى وقف العرب امامها مبهورين . وشغل الناس بكتاب الله واخذوا يتدارسونه ويوضحون معانيه ويتحدثون عن ألفاظه وتراكيبه وما فيه من فنون القول . وكانت البلاغة من العلوم التي أولوها عناية كبيرة وجعلوها أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله ــ جل ثناؤه ــ . وذهبوا أبعد من ذلك فقال عمرو بن عبيد انها « ما بلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما بصرك بمواقع رشدك وعواقب غيك »(٣).

وكان تأثير القرآن واضحا في اتخاذه مدار الدراسات البلاغية ، وكانت آياته البينات الشاهد البلاغي الرفيع ، وكانت احدى آياته مدعاة الى أن يؤلف أبو عبيدة كتابه « مجاز القرآن » . وانتهى ابن خلدون الى أن ثمرة علم البلاغة « انما هي في فهم الاعجاز من القرآن ، لان اعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال منطوقة ومفهومة ، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالالفاظ في انتقائها وجودة رصفها . وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الافهام من ادراكه » (٤) .

وكان لمسألة الاعجاز أثر كبير في تطور البلاغة العربية ، وكان المتكلمون أول من بحثوا في اعجاز القرآن وبلاغته ، وقالت المعتزلة ــ الا النظام وهشاما الفوطي

وعباد بن سليمان : « تأليف القرآن ونظمه معجز محال وقوعه منهم كأستحالة احياء الموتى منهم وانه علم لرسول الله » . وقال النظام : « الآية والاعجوبة في القرآن ما فيه من الاخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم » . وقال هشام وعباد : « لا نقول ان شيئا من الاعراض يدل على الله — سبحانه وتعالى — ولا نقول أيضا أن عرضا يدل على نبوة النبي — صلى الله عليه وسلم — ولم يجعلا القرآن علما للنبي — صلى الله عليه وسلم — وزعما أن القرآن أعراض » (٥) .

واختلفت وجهات النظر في الاعجاز ، وتشعبت سبل القول ، لان الوصول الى ذلك صعب وتحديد وجوه البلاغة في القرآن أصعب . ولكن لم يثنهم ذلك عن عزمهم ومضوا يتلمسون بلاغته ويبينون اعجازه ، فكانت دراساتهم أحسن مصدر للبلاغة وأجلّ مورد لمن أراد أن يذوق القرآن ويفهم البيان . ومن أشهر الذين عنوا بالاعجاز وبلاغة القرآن أبو عبدالله محمد بن يزيد الواسطي صاحب كتاب «اعجاز القرآن في نظمه وتأليفه» ولم يصل هذا الكتاب أو شرحاه لعبدالقاهر الجرجاني . ومنهم أبو الحسن علي بن عيسى الرماني صاحب رسالة « النكت في اعجاز القرآن » الذي ذهب الى أن كتاب الله معجز ببلاغته وهو أعلى طبقات الكلام ، وبحث

البلاغة التي عدها عشرة أقسام هي : الايجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان : ومنهم أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي مؤلف رسالة « بيان أعجاز القرآن » الذي رأى أن البلاغة ترجع الى جمال ألفاظه وحسن نظمه وسمو معانيه وتأثيره في النفوس ، والى صنيعه في القلوب وتأثيره العظيم . ومنهم أبو بكر محمد ابن الطيب الباقلاني صاحب كتاب « أعجاز القرآن » الذي ذهب الى ان كتاب الله معجز لانه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ، ولذلك رأى أن البديع ليس من الوجوه التي يعلل بها الاعجاز . ومنهم القاضي أبو الحسن عبدالجبار الاسد آبادي الذي أفرد الجزء السادس عشر من كتابه « المغني في ابواب التوحيد والعدل » للكلام على أعجاز القرآن وذهب الى انه معجز بالنظم ، وهي الفكرة التي بنى عليها عبدالقاهر الجرجاني كتابه « دلائل الاعجاز » (٦) .

وكان للمفسرين دور كبير في نشأة البلاغة العربية وتطورها ، وكانت احدى الوسائل في كشف أسرار الاعجاز وتبيان ما في الآيات البينات من روعة وجمال ، وقد وضع المفسرون لكتبهم مقدمات بلاغية تحدثوا فيها عن البلاغة وفنونها ونبهوا الى أهمية ذلك فقال الطبري في مقدمة تفسيره : « بيد أن الرسول عربي

وان القرآن نزل بلسانه ، فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمعاني كلام العرب موافقة ، وظاهره لظاهر كلامهم ملائما . فاذا كان ذلك كذلك فبين اذ كان موجودا في كلام العرب الايجاز والاختصار ، والاجتزاء من الاخفاء بالاظهار ، وبالقلة من الاكثار في بعض الاحوال ، واستعمال الاطالة والاكثار والتردد والتكرار ، واظهار لمعاني كلام العرب موافقة ، وظاهره لظاهر كلامهم الاوقات والخبر عن الخاص في المراد بالعام ، وعن العام في المراد بالخاص الظاهر ، وعن الكناية والمراد منه المصرح ، وعن الصفة والمراد الموصوف ، وعن الموصوف والمراد الصفة ، وتقديم ما هو في المعنى مؤخر ، وتأخير ما هو في المعنى مقدم ، والاكتفاء ببعض من بعض وبما يظهر عما يحذف واظهار ما حظه الحذف أن يكون ما في كتاب الله المنزل على نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ذلك في كل ذلك له نظيرا وله مثلا وشبيها . ونحن مبينو جميع ذلك في أماكنه ان شاء الله ذلك وأمد منه بعون »(٧) . وقال جار الله الزمخشري في مقدمة تفسيره : « ان أملأ العلوم بما يغمر القرائح ، وأنهضها بما يبهر الالباب القوارح ، من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق سلكها ، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتابه « نظم القرآن » . فالفقيه وان برّز

على الاقران في علم الفتاوى والاحكام ، والمتكلم وان بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية أحفظ ، والواعظ وان كان من الحسن البصري أوعظ ، والنحوي وان كان أنحى من سيبويه ، واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه ، لا يتصدى أحد منهم لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلاّ رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما : علم المعاني وعلم البيان ، وتمهّل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله »(٨) .

وتفسير الزمخشري من اكثر كتب التفسير اعتمادا على فنون البلاغة ، وقد فتح الطريق للمفسرين والبلاغيين ، واصبحت كتب البلاغة سبيلا تفضي الى رحاب القرآن ومعالم يهتدي بها الدارسون ، ويستعين بما فيها من ومضات مشرقة ولمحات بديعة المفسرون . ولذلك كانت البلاغة مقدمة لدراسة كتاب الله وتفسيره وادراك فصاحته وبلاغته ، وصار الشيوخ لا يقدمون على تدريس كتب التفسير الا بعد أن يلم طلابهم بطرف من البلاغة وفنونها كما فعل يحيى بن حمزة العلوي حينما ألف كتابه « الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » ليكون عونا لمن شرع في قراءة تفسير « الكشاف » عليه ، قال : « ثم ان الباعث على تأليف هذا الكتاب هو أن جماعة

م ن الاخوان شرعوا عليّ في قراءة كتاب الكشاف تفسير الشيخ العالم المحقق استاذ المفسرين محمود بن عمر الزمخشري فانه أسسه على قواعد هذا العلم فاتضح عند ذلك وجه الاعجاز من التنزيل وعرف من أجله وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل ، وتحققوا انه لا سبيل الى الاطلاع على حقائق اعجاز القرآن الاّ بادراكه والوقوف على أسراره وأغواره . ومن أجل هذا الوجه كان متميزا عن سائر التفاسير ، لاني لم أعلم تفسيرا مؤسسا على علمي المعاني والبيان سواه ، فسألني بعضهم ان املي فيه كتابا يشتمل على التهذيب والتحقيق »(٩) .

وأثر الاصوليون والفقهاء في البلاغة ، وفي كتب اصول الفقه بحوث مستفيضة عن الخبر والانشاء ، والحقيقة والمجاز ، وهي بحوث تدل على استئثار علم الاصول بها . قال السكاكي : « بل تصفح معظم أبواب اصول الفقه من أي علم هي ؟ ومن يتولاها ؟ »(١٠) واشار بهاء الدين السبكي الى الصلة الوثيقة بين علمي المعاني وأصول الفقه فقال : « واعلم أنّ علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل ، فأن الخبر والانشاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الاصول ، وان كل ما يتكلم عليه الاصولي من كون الامر للوجوب والنهي للتحريم ، ومسائل الاخبار والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد والاجمال والتفصيل والتراجيح — انما ترجع الى موضوع علم المعاني . وليس في أصول

الفقه ما ينفرد به كلام الشارع عن غيره الا الحكم الشرعي والقياس وأشياء يسيرة »(١١) . ويرى ابن خلدون أن معرفة أركان علوم اللسان وهي : اللغة والنحو والبيان والادب « ضرورية على أهل الشريعة اذ مأخذ الاحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهي لغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة »(١٢) . وممن كانت لهم مشاركات بلاغية في كتبهم الاصولية الامام محمد بن ادريس الشافعي صاحب « الرسالة » و « الام » وأبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي صاحب كتاب « المعتمد في أصول الفقه » ، والامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي مؤلف كتاب « المستصفى من علوم الاصول » ، وأبو الحسن علي بن أبي علي سيف الدين الآمدي صاحب كتاب « الاحكام في أصول الاحكام » . ومن الفقهاء الذين شاركوا في البحث البلاغي عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام صاحب كتاب « الاشارة الى الايجاز في بعض أنواع المجاز » ، وشمس الدين أبو عبدالله محمد المعروف بابن قيم الجوزية مؤلف كتاب « الفوائد ــ المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان » .

ان اهتمام علماء أصول الفقه والفقهاء بالمباحث البلاغية التي وشحوا بها كتبهم أو الفوا فيها وعدّوها من طرق الفقه واصوله ، دفع البلاغيين الى وضع القواعد

الواضحة والتقسيمات الدقيقة لحاجتهم اليها في استنباط الاصول والاحكام(١٢) .

الثاني : اللغويون والنحاة ، وكان للغويين يد طولى في نشأة البلاغة وتطورها ، وقد ظل دورهم مشهودا منذ عهد التدوين ، واستطاعوا أن يسيطروا على مناهج الدرس ويرفعوا لواء المحافظة على اللغة ويردوا المحدثين وما ذهبوا اليه . واخبار الخصومة بين الشعراء واللغويين مستفيضة ، من ذلك ان ابن أبي اسحاق اعترض على الفرزدق لرفع « مجلف » في قوله :

وعضُّ زمان يا ابن مروان لم يدع
من الناس الاّ مُسحتا أو مجلّفُ

فقال : « علام رفعت « مجلف » ؟ فردّ الفرزدق : « على ما يسوؤك وينوؤك ، علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا » . وان ابن أبي اسحاق قال للفرزدق أيضا : انك أسأت في قولك :

مستقبلين شمال الشام تضربهم
بحاصب كنديف القطن منثور

على عمائمنا تلقى وأرحلنا
على زواحف تزجى مخّها رير

وانما هو « ريرٌ » وكذلك قياس النحو في هذا الموضع » . وكان يكثر الردّ عليه حتى قال فيه :

فلو كان عبدالله مولى هجوته
ولكنّ عبدالله مولى مواليا

فردّ عليه قائلا : انها « مولى موال »(١٤) . وكان الخليل بن احمد الفراهيدي يقول لابن مناذر : « انما أنتم معشر الشعراء تبع لي وانا سكان السفينة ان قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم والاّ كسدتم » . فقال ابن مناذر : « والله لأقولنّ في الخليفة قصيدة أمتدحه بها ولا احتاج اليك فيها عنده ولا الى غيرك »(١٥) . وكان الشعراء يستهينون بالنحاة ولا يقبلون أحكامهم ، قال أبو أحمد العسكري : « أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى قال : حدثني علي بن العباس قال : رآني البحتري ومعي دفتر فقال : ما هذا ؟ فقلت : شعر الشنفرى . قال : والى أين تمضي ؟ قلت : أقرؤه على أبي العباس أحمد بن يحيى . قال : رأيت أبا عباسكم هذا منذ أيام فلم أر له علما بالشعر مرضيا ولا نقدا له ، ورأيته ينشد أبياتا صالحة ويعيدها الا انها لا تستوجب الترديد والاعجاب بها » (١٦). ووقف بعض البلاغيين بوجه اللغويين والنحاة أيضا وسخروا منهم كابن الاثير الذي قال وهو يتحدث عن ابن جني .. « لكن فن الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والاعراب » (١٧) .

ان هذا الصراع بين اللغويين والنحاة والشعراء أفاد الادب ودفع الجميع الى البحث والتفكير فكانت الكتب العظيمة والآراء السديدة . واذا كان موقف الشعراء

يتسم بالمغالاة ، فأن اللغويين والنحاة أثروا في نشأة البلاغة وتطويرها ، وكانت لهم وقفات محمودة والتفاتات بارعة أغنت كتب البلاغة . ومن أقدم الذين اهتموا باللغة وشواردها والنظر في الشعر أبو عبيدة معمر بن المثنى الذي ذكر كثيرا من اصول البلاغة ومصطلحاتها في كتابيه « مجاز القرآن » و « النقائض » ، وأبو سعيد عبدالملك بن قريب الاصمعي ، الذي ذكر بعض مسائل البلاغة والنقد في كتابه « فحولة الشعراء » ونثر آراءه البلاغية وبعض مصطلحاتها في مجالسه ونقلها عنه البلاغيون والنقاد . ومنهم أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الذي تحدث عن بعض قضايا البلاغة في كتابه « الكامل » وأفاض الكلام على التشبيه وأقسامه ، وأبو الحسين احمد بن فارس الذي كان كتابه « الصاحبي » من أهم الدراسات اللغوية التي عنيت بالبلاغة وأقسامها ومصطلحاتها ، ويعدُّ فصل « معاني الكلام » من أهم الفصول التي أثرت في دراسة علم المعاني .

ومن النحاة الذين كانت لهم مشاركات بلاغية أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المشهور بسيبويه ، فقد تحدث في كتابه المعروف عن الاساليب العربية وتعرض لبعض فنون البيان . ومنهم أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الذي كان كتابه « معاني القرآن » دراسة اسلوبية لآيات الكتاب وموردا عذبا لمن يريد أن يبحث في أصول البلاغة العربية وأصالتها . ومنهم أبو العباس أحمد بن

يحيى المعروف بثعلب ، ويعد كتابه « قواعد الشعر » من اوائل الكتب البلاغية والنقدية ذات الصبغة العلمية في ترتيب الموضوعات والكلام عليها ، وكان هذا الكتاب الصغير قبسا استضاء به ابن المعتز في كتابه « البديع » الذي ادعى فيه أنه لم يسبق اليه ، مع أن استاذه ثعلبا سبقه الى ذكر مصطلحات البلاغة والتعريف بها وذكر الامثلة . ولكن أهم نحوي اثر في البلاغة العربية هو عبدالقاهر الجرجاني صاحب « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » ، وهذان الكتابان هما زبدة البلاغة العربية وأساس البحث فيها ، وكانت نظرية النظم التي ارسى عبدالقاهر قواعدها أعظم ما وصل اليه العرب القدماء ، وهي نظرية ظهر مثلها في الغرب خلال هذا القرن وزخر العالم بمؤلفاتها البنيوية في العلوم المختلفة . وقد أثر عبدالقاهر في البلاغة وبنى الزمخشري تفسيره على آرائه ، واعتمد الرازي عليه في كتابه « نهاية الايجاز » وبنى كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم السماكي المعروف بأبن الزملكاني كتابيه « التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن » و « البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن » على كتابي عبدالقاهر (١٨) .

الثالث : الشعراء والكتاب ، وكان الشعراء منذ الجاهلية يعنون بالقول ويجودون أشعارهم وينقحونها ، وقد دلت الملاحظات البيانية على انهم كانوا أصحاب ذوق رفيع ومعرفة واسعة بجيد الشعر ورديئه وحسنه

واحسنه . ونما شعورهم وذوقهم حينما تقدم بهم الزمن وكثرت ملاحظاتهم حتى اذا ما جاء العصر العباسي ودخل العرب حياة جديدة تطورت نظرتهم الى الشعر وتوسع ادراكهم لما فيه من روعة وجمال او تصنع وطبع . وفي كتاب « الاغاني » لابي الفرج الاصفهاني ان بشار بن برد كان ينقد الشعر ويشير الى جيده ورديئه ، وقد انشد قول الشاعر :

وقد جعل الاعداء ينتقصوننا
وتطمع فينا ألسن وعيون
الا إنما ليلى عصا خيزرانة
إذا غمزوها بالاكف تلين

فقال : والله لو زعم انها عصا مخ أو عصا زبد لقد كان جعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عصا ، الا قال كما قلت :

ودعجاء المحاجر من معد
كأن حديثها ثمر الجنان
إذا قامت لمشيتها تثنت
كأن عظامها من خيزران

وقال : « لم ازل منذ سمعت قول امرىء القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي

أعمل نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في بيت واحـد حتى قلت :

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه (١٩)

وفي كتب الادب كثير من هذه الاحكام التي تدل على مكانة الشعراء في العصر العباسي وتوجيههم النقد والبيان ، قال ابن المعتز : « البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأديين منهم ، فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو »(٢٠) . وقال ابن رشيق : « أهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك ، ولو كانوا دونهم بدرجات ، وكيف وان قاربوهم أو كانوا منهم بسبب ؟ وقد كان ابو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الاحمر حلبة هذه الصناعة ، اعني النقد ، ولا يشقون له غبارا لنفاذه فيها وحذقه بها واجادته لها»(٢١) . وكان الشعراء ينقدون شعرهم ويتفقدونه قبل أن يعرضوه على الناس ، وكان ابو نواس ينظم القصيدة ثم يتركها أياما ثم يعرضها على نفسه فيسقط منها ويترك صافيها ولا يسرّه كل ما يقذف خاطره(٢٢) . وكان مسلم بن الوليد يبطيء في صنعته ويجيدها ولذلك قالوا عنه : « انه زهير المولدين » (٢٢) أي انه كان ينقح شعره ويجوّده ويعنى بالصنعة فيه .

ومن الشعراء الذين كان لهم دور كبير في نشأة البلاغة عبدالله بن المعتز صاحب كتاب « البديع » الذي كان خطوة كبيرة خطتها البلاغة . وقد وضعه ردا على من يزعم ان المولدين فتحوا باب البديع ، قال : « وقد قدّمنا في أبواب كتابنا هـذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والاعراب وغيرهم واشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ، ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هـذا الفن ولكنه كثر في اشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه » (٢٤) وقـال : « غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس ان المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء من أبواب البديع »(٢٥) وفي ذلك تأكيد لاصالة البلاغة العربيـة ونشـوئها في رحاب الامـة العربية . وتتضح في كتاب « البديع » الدقـة في التقسيم ، فقد اقامه على نوعين من الفنون سمّى الاول البديـع وهـو : الاسـتعارة ، والتجنيـس ، والمطابقة ، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامي ، وهي الفنون التي ثارت حولها الخصومة بين الشعراء والنقاد . وسمى الثاني محاسن الكلام وهـي : الالتفات ، والاعتراض ، والرجوع ، وحسن الخروج ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، والهزل يراد به الجـد ، وحسن التضمين ، والتعريض والكناية،

والافراط في الصفة ، وحسن التشبيه ، ولزوم ما لا يلزم، وحسن الابتداء . وكانت هذه الفنون التي ذكرها ابن المعتز في القسمين عمدة البلاغيين والنقاد فقد استند اليها قدامة بن جعفر في كتابه « نقد الشعر » وابن أبي الاصبع المصري في كتابيه « بديع القرآن » و « تحرير التحبير » وأضافا اليهما ألوانا جديدة ، وفعل مثلهما البلاغيون والنقاد الاخرون .

وألف الشريف الرضي كتابين في البيان هما : « تلخيص البيان في مجازات القرآن » و « المجازات النبوية » وهما كتابان في المجاز بمعناه الواسع . ومن الشعراء الذين ألفوا في البلاغة والنقد ابو علي الحسن ابن رشيق القيرواني الذي ترك كتابين مهمين هما « العمدة » و « قراضة الذهب » والاول من أحسن كتب البلاغة المعتمدة على الذوق والنقد السليم . ومنهم أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي صاحب « سر الفصاحة » وقد تحدث فيه عن فنون البلاغة غير ان دراسته للكلمة المفردة والكلام المركب يُعَدُّ من اوسع ما عرفته البلاغة القديمة . والكتاب من أنفس كتب البلاغة والنقد في القرن الخامس للهجرة لانه جمع بين التعليل والتحليل والعلم والذوق . وقد كان الدافع الى تأليفه اختلاف الناس في ماهية الفصاحة وحقيقتها وقد أراد ابن سنان ان يجلوها ويعرضها عرضا حسنا ، لانه يؤمن بان للفصاحة أثرا عظيما في نظم الكلام على

اختلاف تأليفه ونقده ومعرفة ما يختار منه وما يكره ، وكلا الامرين متعلق بالفصاحة بل هو مقصور على المعرفة بها فلا غنى لمنتحل الادب عن دراسة الفصاحة على النحو الذي ذكره في الكتاب . وكانت الشروط التي وضعها للفصاحة عمدة البلاغيين المتأخرين ولاسيما الخطيب القزويني وشرّاح تلخيصه ، وهي شروط أوقفت دراسة الالفاظ وأحالتها قواعد ثابتة ليس فيها للذوق دور كبير.

ومن الشعراء أبو المظفر أسامة بن منقذ الذي جمع في كتابه « البديع في نقد الشعر » خمسة وتسعين نوعا من فنون البلاغة . ومنهم أبو محمد زكي الدين عبدالعظيم المعروف بابن ابي الاصبع العدواني المصري ، وله كتابان مهمان هما : « بديع القرآن » و « تحرير التحبير » وقد اودع فيهما اكثر من مائة لون بلاغي درسها باسلوب أدبي بديع ، وحلل ، الامثلة تحليلا فنيا يشهد له بالقدرة على التأليف الحسن والتمتع بذوق الشاعر المرهف (٢٦) .

وكان للكتاب أثر واضح في البلاغة فقد صبغوا كثيرا من بحوثها بصبغة أدبية لما امتازوا به من ادب رفيع وذوق سليم . وهم الذين قال الجاحظ عنهم : « أما أنا فلم أرَ قط امثل طريقة في البلاغة من الكتاب فانهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا »(٢٧) . وقال : « وقد جلست الى ابي عبيدة الاصمعي ويحيى بن نجيم وأبي مالك عمرو بن كركرة مع من جالست من رواة البغداديين فما رأيت

أحداً منهم قصد الى شعر في النسيب فأنشده ، وكان خلف يجمع ذلك كله . ولم أرَ غاية النحويين الاّ كل شعر فيه الشاهد والمثل ، ورأيت عامتهم – فقد طالت مشاهدتي لهم – لا يقفون الاّ على الالفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة ، وعلى الالفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة ، وعلى الطبع المتمكن ، وعلى السبك الجيد ، وعلى كل كلام له ماء ورونق ، وعلى المعاني التي اذا صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم وفتحت للسان باب البلاغة ودلت الاقلام على مدافن الالفاظ وأشارت الى حسان المعاني : ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتاب أعم وعلى السنة حذاق الشعراء أظهر . ولقد رايت أبا عمرو الشيباني يكتب أشعاراً من افواه جلسائه ليدخلها في باب التحفظ والتذاكر ، وربما خيل اليّ أن أبناء اولئك الشعراء لا يستطيعون ابداً أن يقولوا شعراً جيداً لمكان أعراقهم من أولئك الاباء . ولولا أن أكون عياباً ثم للعلماء خاصة لصورت لك في هذا الكتاب ما سمعت من أبي عبيدة ومن هو أبعد في وهمك من أبي عبيدة » (٢٨) . وقال – فيما لخّصه ابن رشيق – : « طلبت الشعر عند الاصمعي فوجدته لا يحسن الاّ غريبه فرجعت الى الاخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا يتقن الاّ ما اتصل بالاخبار وتعلق بالايام والانساب ، فلم اظفر بما أردت الاّ عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب

محمد بن عبدالملك الزيات »(٢٩) وقال ابن رشيق : «الكتاب أرق الناس في الشعر طبعا ، وأملحهم تصنيفا ، وأحلاهم الفاظا ، والطفهم معاني ، واقدرهم على تصرف ، وابعدهم من تكلف. وقد قيل. الكتاب دهاقين الكلام»(٣٠).

وأخذت الكتابة مكانة مرموقة منذ العصر الاموي ، وكان عبدالحميد الكاتب ممن انتهت اليهم رياسة الكتابة في ذلك العهد . وقد أثر في الكتابة وكانت له آراء تجلت في آثار ابن المقفع وسهل بن هارون وجعفر بن يحيى وكلثوم بن عمرو العتابي وغيرهم من كتاب العصر العباسي ولكن أشهر الكتاب الذين أثروا في البلاغة ابو عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ الذي نثر كثيرا من مصطلحات البلاغة وفنونها في كتبه ورسائله ولا سيما « البيان والتبيين » و « الحيوان » . ويعد الجاحظ احد مؤسسي علم البيان وباني أركانه لما جمع في كتبه من أقوال في البلاغة والفصاحة وابدى من آراء فيهما . وكان لما ذكره أثر في الكتاب الذين جاءوا بعده كقدامة بن جعفر الذي جمع في كتابه « نقد الشعر » كثيرا من موضوعات البلاغة ، وابن وهب الكاتب الذي تحدث في البيان الثالث من كتابه « البرهان في وجوه البيان » عن بعض مسائل البيان ، وأبي هلال العسكري الذي رتب موضوعات البلاغة ترتيبا علميا دقيقا في « كتاب الصناعتين » الذي يعد نقطة تحول النقد ومقاييسه الذوقية الى علم يعتمد على القواعد البلاغية اكثر من اعتماده على الاحساس

الفني . ومنهم أبو القاسم عبدالله بن محمد بن الحسين ابن ناقيا البغدادي الذي تحدث عن فن التشبيه في كتابه « الجمان في تشبيهات القرآن » ، وابن شيث القرشي الذي تكلم على كثير من موضوعات البلاغة في كتابه « معالم الكتابة ومغانم الاصابة » . وكان ضياء الدين بن الاثير من أكثر الكتاب أثرا في البلاغة فقد ألف عدة كتب فيها ، ولكن كتابيه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » و « الجامع الكبير » من أروع ما ألف في هذا الفن . وتتجلى أهمية ابن الاثير البلاغية في أنه مارس الكتابة زمنا طويلا وكان من أبرز الكتاب في عهد الدولة الايوبية ، وقد انعكست تلك الممارسة في كتبه التي كانت صورة صادقة لموهبته الفنية وقدرته العلمية في العرض والتنسيق . وقد أثار حركة بلاغية ونقدية فكتب ابن أبي الحديد كتابه « الفلك الدائر على المثل السائر » ووضع صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي كتاب «نصرة الثائر على المثل السائر» . ومن الكتاب الذين أثروا في البحث البلاغي شهاب الدين محمود الحلبي صاحب « حسن التوسل الى صناعة الترسل » وقد جمع فيه بين الطريقة العلمية والطريقة العملية ، أي أنه استفاد من قواعد البلاغة في صناعة الترسل . واستفاد منه القلقشندي ونقل كتابه في الجزء السابع من موسوعته «صبح الاعشى في صناعة الانشاء»(٣١) .

ويتصل بالشعراء والكتاب بعض النقاد الذين أثروا في البلاغة كأبي الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا

صاحب « عيار الشعر » ، وأبي القاسم الحسن بن بشر ابن يحيى الآمدي مؤلف « الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري » ، والقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني صاحب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » . ويختلف هؤلاء في معالجة قضايا البلاغة عن البلاغيين ، ذلك انهم لم يتخذوا هذا الفن غاية وانما وسيلة لفهم الشعر والوقوف على ما فيه من روعة وجمال(٣٢) .

ويتصل بالشعراء والكتّاب أيضا أصحاب البديعيات الذين نظموا قصائد في مدح الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على غرار البردة للبوصيري وقد ضمنوها فنون البلاغة . ومن أشهرهم صفي الدين الحلي وابن جابر الاندلسي وعزالدين الموصلي وابن حجة الحموي وجلال‌الدين السيوطي وعائشة الباعونية وابن معصوم المدني وعبدالغني النابلسي . وقد شرح بعضهم بديعيته ، وأهم تلك الشروح « خزانة الادب » للحموي و « أنوار الربيع في أنواع البديع » لابن معصوم(٣٣) .

الرابع : الفلاسفة والمتكلمون وقد كانت البلاغة أحد الميادين التي دخلتها الفلسفة وعلم الكلام ، وأدى الامر الى انتهاء البحث البلاغي الى ضروب من الخلاف والمناقشة تعقد لها مجالس المناظرة ويقعد لها المحكمون بين سعدالدين التفتازاني والسيد الشريف الجرجاني حين يتناظران في اجتماع الاستعارة التبعية والتمثيلية وعدم اجتماعهما وكأنهما يتناظران في مشكل من اصول

القوانين أو معضل من مسائل الفلسفة ، وينهزم سعد الدين ويموت كمدا وضحية للفلسفةفي البلاغة . وقد كان ذلك بعد أن استوت البلاغة واصبحت علما له قواعده وأصوله ومناهجه وكتبه ، وبعد أن ماتت المواهب والملكات وفسد الذوق . أما في عهد ازدهار الادب فقد كان الاتجاه الفلسفي والكلامي يلقى مقاومة عنيفة ، وقد تحدث ابن قتيبة في مقدمة كتابه « أدب الكاتب » عن خطر الفلسفة والمنطق والعلوم العقلية على ناشئة الكتاب وهاجم هذه العلوم ودعا الى الاخذ بالمنهج العربي الاصيل ، وهو منهج يقوم على القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر(٢٤) . وهاجم أبو سعيد السيرافي المنطق في المناظرة التي جرت بينه وبين متّى بن يونس القنائي الفيلسوف في مجلس الوزير أبي الفتح بن جعفر بن الفرات(٢٥) . وامتدح الآمدي في موازنته بين الطائيين طريقة العرب في الشعر ، وصرخ البحتري الشاعر متبرما بالمنطق قائلا :

كلفتمونا حدود منطقكم
في الشعر يكفي عن صدقه كذبه

ولم يكن ذو القروح يُلهج بالـ
منطق ما نوعه وما سببه

والشعر لمح تكفي اشارته
وليس بالهذر طولت خطبه

وثار ضياء الدين بن الاثير على أساليب الفلسفة وراى في اعيانها من أمثال الفارابي وابن سينا رجالا اضلهم أرسطو وافلاطون ، وأشار الى حصر اليونان للمعاني الخطابية غير ان ذلك الحصر كلي لا جزئي ، ومحال أن تحصر جزئيات المعاني وما يتفرع عليها من التفريعات التي لا نهاية لها ، وليس في ذلك الحصر كبير فائدة(٣٦) .

ولكن الفلسفة وعلم الكلام والمنطق أثرت في البلاغة العربية وتسربت الى مناهجها وحدودها وتقسيماتها وامتلأت كتبها بالالفاظ الفلسفية والحدود المنطقية والنزعة الكلامية ، وقد تجلى ذلك بوضوح بعد جنوح الادب الى التقليد وسيطرة النزعة العقلية على مقاييسه البلاغية والنقدية : ولعل فخر الدين الرازي كان من أوائل الذين اتجهوا بالبلاغة وجهة فلسفية وذلك حينما وضع كتابه « نهاية الايجاز في دراية الاعجاز » ، وتبعه في ذلك سراج الدين يوسف بن ابي بكر أبو يعقوب السكاكي في كتابه « مفتاح العلوم » الذي أفرد القسم الثالث منه للكلام على البلاغة وقسمها الى علمي المعاني والبيان والحق بهما وجوه البديع ، وربط البحث البلاغي بالاستدلال وأسرف في الحدود والتقسيمات وضبط القواعد والاقلال من الامثلة . وكان « مفتاح العلوم » ايذانا بتوقف البحث البلاغي ، فقد لخص القسم الثالث منه بدر الدين بن مالك في كتابيه « روض الاذهان في علم

البيان » و « المصباح » ، وسار على خطاه الخطيب القزويني في كتابه « التلخيص » الذي أسرف في الايجاز ، واضطر لذلك الى شرحه في « الايضاح » وتوالت الشروح فكان « عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح » لبهاء الدين السبكي ، و « الشرح المختصر » و « الشرح المطول » لسعدالدين التفتازاني ، و « الشرح الاطول » للاسفرايني و « مواهب الفتاح » لابن يعقوب المغربي ، و «حاشية المختصر» لمحمد بن عرفه الدسوقي . وهذه الشروح تلتقي في منهج واحد وهو منهج يقوم على تقسيم البلاغة الى علومها الثلاثة : المعاني والبيان والبديع ، وتتخذ من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام سبيلا لبحث موضوعاتها . وقد أدى ذلك الى أن تبتعد البلاغة عن وجهتها التي من أجلها نشأت ، وأصبحت ميدانا لعرض القضايا العقلية والخلافات الفلسفية ، حتى قيل ان هذه الشروح ضمت كل شيء الا البلاغة .

ومن الذين تأثروا في بحثهم البلاغي بالفلسفة والمنطق يحيى بن حمزة العلوي مؤلف كتاب « الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » وأبو عبدالله محمد ابن عمرو التنوخي صاحب « الاقصى القريب في علم البيان » ، ولكن هذين المؤلفين لم يقعا في سلك الفلسفة كما وقع الاخرون لما لهما من حس أدبي مرهف وذوق يدرك الجمال ، ولولا ذلك لأصبح كتاب العلوي

خاصة معرضا للنزاع العقلي وعرض الاراء الاعتزالية والذود عنها(٢٧) .

وفي البلاغة العربية ظهر مؤلفان استفادا من المنطق الارسطوطاليسي ومن كتب الفلاسفة المسلمين ، وهذان العالمان هما : أبو الحسن حازم القرطاجني صاحب « منهاج البلغاء وسراج الادباء » الذي كان أقرب الى اصول البلاغة أو فلسفتها ، وقد جنح فيه مؤلفه الى طريق من النظر الحكمي وتطبيق نظريات أرسطو وآرائه في الادب العربي ، ووضع مصطلحات لم يألفها البحث البلاغي عند العرب مثل « معلم » و « أضاءة » و « تنوير » و « معرف » .

والثاني أبو محمد القاسم السجلماسي صاحب « المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع » الذي عالج الموضوعات البلاغية بطريقة علمية دقيقة ، وذلك بأنطلاقه في تحديد كل نوع بلاغي من مصطلحين هما : الموطيء والفاعل ، ويقصد بالاول المعنى أو القاسم المشترك الذي يضم التفريعات اللاحقة المتولدة مباشرة ، ويريد بالثاني القانون العلمي النظري العام الذي يمثل القاسم المشترك بين المصطلحات التي تلتحم في وضعها الفلسفي المنطقي بدلالتها النقدية والبلاغية وفق نظام لغوي محدد وقسم البلاغة الى عشرة اقسام هي : الايجاز ، والتخييل والاشارة ، والمبالغة ، والرصف ، والمظاهرة ، والتوضيح ،

والاتساع ، والانثناء ، والتكرير . وأدخل في هذه الاقسام العشرة ما يتصل بها من موضوعات . وهذا التقسيم واسلوب عرضه جديد في البحث البلاغي وتبدو فيه النزعة العقلية المتأثرة بالدراسات الفلسفية والمنطقية .

وممن يتصل بهذه العالمين ابن البناء المراكشي صاحب « الروض المريع في صناعة البديع » وليس من السهل معرفة منهجه بدقة لان كتابه لايزال مخطوطا ، وان أشار اليه بعض الدارسين(٢٨) .

(٤)

الاتجاهات

كانت العوامل المؤثرة في البلاغة كثيرة منها الادبية اللغوية ومنها الفلسفية الكلامية ، وقد ادى ذلك الاختلاف في المؤثرات الى أن تتجه البلاغة اتجاهين اطلق عليهما اسم « المدرسة الكلامية » و « المدرسة الادبية » . وأمر هذين الاتجاهين أو المدرستين قديم ، وقد نبه أبو هلال العسكري الى منهجين في دراسة البلاغة وقال : « وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين وانما قصدت فيه قصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب ، فلهذا لم أطل الكلام في هذا الفصل » (١) وقال جلال الدين السيوطي وهو يترجم لنفسه : « ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة » (٢) . ولو لم تكن معالم هذين الاتجاهين واضحة ما صرح أبو هلال بها منذ وقت مبكر ، وافتخر السيوطي بأنه درس البلاغة على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة العجم واهل الفلسفة . فما خصائص كل من المدرستين ، وما أهم كتبهما ، ومن اشهر رجالهما ؟

الاولى : المدرسة الكلامية ، وقد ظهرت نتيجة الاثر الكبير لعلوم الفلسفة والمنطق في الثقافة الاسلامية والعربية ؛ وكان البلاغة نصيب من ذلك الاثر فتوثقت الصلة منذ عهد مبكر بينهما وبين العلوم العقلية وبلغ أوج ذلك الاتصال في القرن السادس للهجرة وما بعده على يد السكاكي صاحب « مفتاح العلوم » والخطيب القزويني صاحب « التلخيص » و « الايضاح » وشراح التلخيص . وهذه الصلة الواضحة جعلت المرحوم أمين الخولي يقول : اننا لو انعمنا النظر ومضينا في التقصي لوجدنا تأثر البلاغة بالفلسفة وفروعها من المنطق والكلام قويا بعيد المدى في نشأة البلاغة وظهورها، وفي تطورها وسير دراستها ، وفي ضبط بحوثها وتحديد دائرة درسها ، وفي تعيين غرضها وغايتها (٣) : وهذه حقيقة تظهر عند النظر في مؤلفات هذه المدرسة التي من أول سماتها العناية بالتحديد والتعريف والتقسيم المنطقي والاهتمام بجعل التعريف جامعا مانعا . ثم استعمال أساليب الفلسفة والمنطق في تحديد الموضوعات وتقسيمها وحصرها واستعمال الالفاظ الفلسفية والمنطقية .

وقد ساق البلاغيون كثيرا من المقولات عند الكلام على الملكة حين وردت في تعريف الفصاحة والبلاغة وما صدروا به البيان من بحوث الدلالات الوضعية والعقلية . وأدخلوا فيها بعض مسائل الفلسفة الطبيعية

والالهية والخلقية كالكلام في الالوان والطعوم والحواس الانسانية ومقرها والوهم والخيال والمفكرة والحس المشترك والاسباب والمسببات . وأدخلوا فيها من الالفاظ الفلسفية والكلامية المحمول والموضوع والايجاب والسلب وغير ذلك من المصطلحات التي لا علاقة لها بالبلاغة بقدر علاقتها بالعلوم العقلية . وقد اعترف كثير من البلاغيين بذلك ولكنهم كانوا يذكرونها خشية أن يوسموا بالجهل ، أي أن حشرها كان نوعا من التعالم أو اظهار المعرفة بالثقافات السائدة .

لقد حددوا البلاغة بهذه المقاييس وضبطوا مباحثها بهذه الاعتبارات العقلية التي أزهقت روح البلاغة وأحالتها قواعد جامدة ، وبذلك نشأ الجدل العنيف والنقاش الحاد في كتب البلاغة فأخرجها عن هدفها الفني . ومن يقرأ كتب المتأخرين ولاسيما شروح التلخيص يجد هذه الظاهرة واضحة جلية ، ويجد أن أحكام المدرسة الكلامية بعيدة عن الروح الادبية المعتمدة على الذوق الادبي والاحساس الفني الصادق .

ومن مظاهر الاثر الفلسفي في هذه المدرسة الاقلال من الشواهد والامثلة الادبية ، لان رجالها اهتموا بالتحديد المنطقي والحصر والتقسيم فكانوا يذكرون لكل قاعدة شاهدا واحدا أو مثالا قصيرا أو بعض الشواهد والامثلة التي خلت من الجمال أو المسحة الفنية ، لان الهدف هو التمثيل والاستشهاد

العقلي لا ما يثيره النص في النفس من انفعال أو شعور . ولعل اهتمام المتأخرين بالاختصار وتلخيص الكتب المتقدمة كان سببا في الاقلال من الشواهد والامثلة والاكتفاء بأقلها وأقصرها وبما ينسجم مع أذواقهم التي سيطرت عليها النزعة الكلامية والصنعة البديعية ، ولذلك بقي تمثيلهم منحصرا في الجملة أو الجملتين ولم يتجاوزها الى القطع الادبية التي تكون وحدة فنية ، وترسم صورا تزخر بالمعنى وتثير الاحساس بالجمال .

وقد شاعت المدرسة الكلامية في المناطق الشرقية من الدولة الاسلامية حيث يقطن خليط من الفرس والترك والتتر ومن اليهم من الاقوام غير العربية . وكانت خوارزم أكبر المناطق التي ظهر فيها أقطاب هذه المدرسة كجارالله الزمخشري صاحب « الكشاف » وفخرالدين الرازي مؤلف « نهاية الايجاز في دراية الاعجاز » وأبي الفتح ناصر بن أبي المكارم المطرزي مؤلف كتاب « الايضاح في شرح مقامات الحريري » والسكاكي صاحب « مفتاح العلوم » وسعد الدين التفتازاني شارح تلخيص مفتاح العلوم للخطيب القزويني . واستطاعت هذه المدرسة السيطرة على الدراسات البلاغية بعد عبدالقاهر الجرجاني وبلغت ذروتها في عصور الشروح والتلخيصات .

وأهم كتب هذه المدرسة : نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، والبرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب ـ

وهو المطبوع بأسم نقد النثر والمنسوب الى قدامة — ودلائل الاعجاز لعبدالقاهر الجرجاني ، ونهاية الايجاز للرازي ، ومفتاح العلوم للسكاكي ، والمصباح لبدرالدين ابن مالك، وتلخيص المفتاح والايضاح للخطيب القزويني، وعروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاءالدين السبكي ، والمختصر والمطول لسعدالدين التفتازاني ، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي ، وغيرها من الكتب التي سارت على منهج السكاكي والقزويني حتى هذا العصر .

الثانية : المدرسة الادبية ، وقد ظهرت نتيجة عوامل أخرى غير الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، وكان من أهمها القرآن الكريم الذي طبع بحوث البلاغة بطابع أدبي ، ويتجلى ذلك في كثرة الشواهد التي اقتبسها البلاغيون من كتاب الله . وكان للكتاب أثر واضح فقد صيغوا كثيرا من مباحث البلاغة بصيغة أدبية . وكان للشعراء دور كبير أيضا فقد شاركوا في التأليف وكان الشاعر ابن المعتز من أوائل الشعراء الذين وضعوا كتبا فيها ، وما كتابه « البديع » الا واحدا من تلك الكتب التي الفها الشعراء خلال القرون الماضية . وقد طبعت هذه المؤثرات — القرآن والكتاب والشعراء — البلاغة بطابع أدبي ، وكانت نتيجة ذلك ان اتجهت اتجاها آخر وسلكت طريقا بعيدا عن المدرسة الكلامية . وهذا

الاتجاه الذي سارت البلاغة فيه هو الذي ارسى قواعد المدرسة الادبية ووطد اركانها .

ومن خصائص هذه المدرسة الابتعاد عن التحديد والتقسيم ، وان جنحت الى ذلك فعلى غير تعمق ونفاذ والتزام للتصحيح التام للاصول المنطقية ، الا ان يكون شيء من ذلك أثرا لعدوى المدرسة الكلامية . ولم تهتم بأقتباس المنطقيات ومسائل الفلسفة وانما نبذتها وحملت عليها وحاربتها ، وكان ضياء الدين بن الاثير احد أقطابها الذين حملوا حملة عنيفة على الفلسفة وراى في اعلامها من أمثال ابن سينا والفارابي رجالا أضلهم أرسطو وافلاطون ، قال : « اعلم أن ذلك الحصر كلي لا جزئي ، ومحال أن تحصر جزئيات المعاني وما يتفرع عليها من التفريعات التي لانهاية لها . لاجرم ان ذلك الحصر لايستفيد بمعرفته صاحب هذا العلم ولا يفتقر اليه ، فان البدوي البادي راعي الابل ما كان يمر شيء من ذلك بفهمه ولا يخطر بباله ومع هذا فانه كان يأتي بالسحر الحلال ان قال شعرا أو تكلم نثرا » (٤) .

وقال : « ولقد فاوضني بعض المتفلسفين في هذا وانساق الكلام الى شيء ذكر لابي علي بن سينا في الخطابة والشعر ، وذكر ضربا من ضروب الشعر اليوناني يسمى اللاغوذيا ، وقام فأحضر كتاب الشفاء لابي علي ووقفني على ماذكره ، فلما وقفت عليه استجهلته فانه طول فيه وعرض كأنه يخاطب بعض اليونان ، وكل الذي ذكره لغو لايستفيد

به صاحب الكلام العربي شيئا . ثم مع هذا جميعه فان معول القوم فيما يذكر من الكلام الخطابي انــه يورد على مقدمتين ونتيجة ، وهذا مما لم يخطر لابي علي بن سينا فيما صاغه من شعر أو كلام مسجوع ، فان له شيئا من ذلك في كلامه ، وعند افاضته في صوغ ما صاغه لم تخطر المقدمتان والنتيجة له ببال ، ولو انه فكر أولا في المقدمتين والنتيجة ثم اتى بنظم أو نثر بعــد ذلك لمــا أتى بشيء ينتفع به ولطال الخطب عليــه ، بل أقول شــيئا آخــر وهو ان اليونان انفسهم لما نظموا ما نظموه من أشعارهم لم ينظموه في وقت نظمه وعندهــم فكرة في مقدمتين ولا نتيجة ، وانما هذه أوضاع توضع ويطول بها مصــنفات كتبهم في الخطابة والشعر ، وهي كما يقال ليس لها طائل كأنها شعر الابيوردي » (٥) . ويتضح هذا الابتعــاد عن الفلــفة والمنطق وعلــم الكلام في معظم كتب المدرســـة الادبية مثل كتب أسامة بن منقذ وابن الاثير وابن ابي الاصبع المصري .

ومن خصائص هذه المدرسة انها تستعمل المقاييس الفنية في الحكم على الادب ، ولذلك تعلل مرة ولا تستطيع التعليل مرة اخرى ، وترجع الحسن والجمال الى الذوق والاحساس الفني . وكان أسلوب كتبها وعباراتها سهلة واضــــحة لاتحتاج الى عناء كبير في فهمها كما يحتاج في قراءة كتب المدرسة الكلامية ، وسبب ذلك ان معظـــم رجالها عاشوا في بيئات عربية كالعراق والشام ومصــر

والمغرب ، وكانوا الى جانب ذلك شعراء أو كتابا لهم ذوق أدبي واحساس فني مرهف . فالجاحظ مع أنه معتزلي متكلم كان اديبا كبيرا ، وابن المعتز كان شاعرا أصيلا ، وأبو هلال العسكري وضياء الدين بن الاثير وشهاب الدين الحلبي كانوا كتابا . أما رجال المدرسة الكلامية فقد عاشوا في بيئات فارسية او تركية أو تترية فغلبت على كتبهم العجمة وسيطر على أساليبهم التعقيد ، ولم يكونوا شعراء أو كتابا وانما عرفوا بالمنطق وعلم الكلام والعلوم العقلية التي تعنى بالدقة والضبط أكثر من عنايتها بجمال العبارة وتأثيرها في النفوس .

وتتسم المدرسة الادبية بالاكثار من الشواهد والامثلة ، وكان المؤلفون يذكرون القاعدة بسطر أو سطرين ويأتون بالامثلة التي تتجاوز الصفحات . ولم تكن أمثلتهم مقصورة على الجملة أو بيت الشعر وانما تعدتها الى القطعة الشعرية والرسالة الادبية ، ويتضح هذا في جميع كتب المدرسة ، فأبن المعتز ـ مثلا ـ يذكر تعريف الاستعارة او التجنيس ويورد بعد ذلك أمثلة كثيرة ويفرق بين حسنها ورديئها . وأبو هلال ينحو هذا المنحى في « كتاب الصناعتين » وان بدا في الكتاب شيء من المنهج العقلي في التقسيم والحصر والتبويب . واسامة بن منقذ يتبع طريقة ابن المعتز فيكتفي بالتعريف الموجز ، ثم يورد الامثلة الكثيرة .

وسادت المدرسة الادبية في المناطق الوسطى من الدولة الاسلامية اي في العالم العربي كالعراق ومصر والشام والمغرب . وأهم كتبها التي تعرب عن حركتها وآراء رجالها كتاب البديع لابن المعتز ، وكتاب الصناعتين لابي هلال العسكري ، والعمدة لابن رشيق القيرواني ، وأسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني ، والبديع في نقد الشعر لاسامة بن منقذ ، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر والجامع الكبير لضياء الدين بن الاثير ، وبديع القرآن وتحرير التحبير لابن أبي الاصبع المصري .

وعد المرحوم امين الخولي من رجال هذه المدرسة بهاءالدين السبكي صاحب « عروس الافراح »(٦) ولكن كتابه يبتعد كثيرا عن النزعة الادبية في منهجه ومادته ، فقد حشر فيه مسائل كثيرة لا صلة لها بالبلاغة واكثر من علم الاصول اكثارا عظيما ، وذكر تقسيمات كثيرة ينفر منها الدارس مع انه انتقد أهل المشرق ومنهجهم البلاغي فقال : » اما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله ــ تعالى ــ عليه من الذوق السليم والفهم المستقيم والاذهان التي هي أرق من النسيم وألطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم . اكسبهم النيل تلك الحلاوة واشار اليهم بأصابعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة ، فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء ــ فضلا عن الاغمار ــ الاعمار ، ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الاسرار خلف الاستار »(٧) ولكن السبكي

على الرغم من احساسه بهذه الحقيقة لم يسر على المنهج الادبي الذي يبتعد عن حشر الفلسفة ومسائلها في البلاغة وانما اتجه اتجاه المدرسة الكلامية في تقسيم البلاغة الى معان وبيان وبديع ، وادخال علم الاصول وعلم المنطق والفلسفة في مباحثها ، والاهتمام بالتقسيم والتحديد .

ويتصل بالمدرسة الادبية ما أطلق عليه مذهب مصر والشام(٨) ، وهو مذهب اتضح في القرن السادس للهجرة وما بعده في هاتين البيئتين العربيتين ، وكان هذا الاتجاه يختلف كل الاختلاف عن مذهب المشارقة الذي أهتم اعلامه بوضع القواعد المنطقية والحدود الجامعة المانعة ، والابتعاد عن المقاييس الادبية في النقد والموازنة والتحليل . لقد كان أهل مصر والشام يميلون الى تحكيم الذوق في البلاغة والنقد ، والاهتمام بصور البديع وما توحيه من انفعالات نفسية تتعلق بالاحساس الفني والوجدان . ومن أشهر أعلام هذه البيئة ابن سنان صاحب « سر الفصاحة » واسامة بن منقذ مؤلف « البديع في نقد الشعر » وابن شيث القرشي صاحب « معالم الكتابة ومغانم الاصابة » ، وابن الاثير صاحب « المثل السائر » و « الجامع الكبير » وابن الزملكاني مؤلف « التبيان في علم البيان » و « البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن » وابن أبي الاصبع المصري صاحب « بديع القرآن » و « تحرير التحبير » .

وأهم ما يلاحظ من خصائص هذا المذهب أن رجاله لم يقسموا البلاغة الى علومها الثلاثة : المعاني والبيان والبديع ، وانما بحثوها بمناهج أخرى وكان لكل رجل اسلوبه وطريقته في العرض والتحديد . ولم يولع رجال هذا الاتجاه بالتحديد الجامع المانع مع ان السكاكي معاصر ابن الاثير كان قد اهتم بذلك اهتماما كبيرا ووضع المصطلحات البلاغية وضعا دقيقا يعتمد على المنطق والاسلوب الفلسفي الدقيق . وانصرف رجال هذا الاتجاه عن الفلسفة والمنطق في العرض والتحليل ، وكان الذوق عمدتهم في ذلك . واستحدثوا فنونا جديدة تمثل البيئة ، ومن ذلك ما ذكره ابن أبي الاصبع المصري من فن النزاهة ، وهو عنده نزاهة ألفاظ الهجاء وغيره عن الفحش ، وفن التدبيج ، وفن التنذير وغيرها مما أضافه هذا الرجل الى البلاغة العربية (٩) .

أن مذهب مصر والشام لا يمثل مدرسة ثالثة وان بحث ، وانما هو ركن من أركان المدرسة الادبية التي امتدت من القرن الثاني للهجرة حتى القرن السابع وما بعده بقليل . وهذا يوضح أن الذوق والاحساس الفني والنزعة الادبية لم تمت مع جنوح الحياة الادبية الى التقليد وسيطرة المناهج الفلسفية على الدرس البلاغي والنقدي . ولعل ابن الاثير وابن أبي الاصبع المصري يمثلان قمة المدرسة الادبية في القرن السابع للهجرة وقد عاشا في مصر والشام .

هاتان هما المدرستان البلاغيتان ، وقد اتضحت لكل منهما سمات وافردت لها كتب ، ولكن هل هنالك حد فاصل بين الذين اتبعوا الطريقة الكلامية والذين نهجوا سبيل المدرسة الادبية ؟ ليس ذلك بالواضح ، فكثيرا ما يمزج البلاغي الواحد بين الطريقتين ، ويستفيد من المدرستين ، فالجاحظ ــ مثلا ــ وهو رأس فرقة اعتزالية سميت « الجاحظية » يميل الى الناحية الادبية ويحكم الذوق في كثير من الاحيان ، وابو هلال العسكري مع اقراره انه لن يتبع طريقة المتكلمين يتجه نحوهم في تقسيماته وتبويبه ويجري في مضمارهم . وكان عبدالقاهر الجرجاني يميل مرة الى المدرسة الكلامية في كتابه « دلائل الاعجاز » ويتجه الى المدرسة الادبية في كتابه « اسرار البلاغة » فهو في الاول يجادل جدلا منطقيا ويكرر اساليب اهل الكلام ، ولعل سبب ذلك أنه يبحث في اعجاز القرآن الكريم ويقارع أهل النحل الزائفة ويرد اقوالهم ويفند أراءهم . وهو في كتابه الثاني أديب بليغ يعمد الى التحليل وأظهار ما في الكلام من بلاغة وجمال ، ولم يكن في ذلك ما يدعو الى الاستعانة بالاساليب العقلية لانه ليس بصدد البرهنة على الاعجاز والرد على الطاعنين ببلاغة القرآن ، وانما هو بصدد تحليل كلام العرب والوقوف على أسراره ، وليس في ذلك ما يدعو الى الحجج العقلية والادلة المنطقية(١٠) .

ومن جمعوا بين المدرستين يحيى بن حمزة العلوي في كتابه « الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وحقائق الاعجاز » فهو في القسم الاول يسير على منهج أدبي واضح فيه التحليل والاكثار من الامثلة ، وهو في القسم الثاني يتبع طريقة المدرسة الكلامية في تصنيف مسائل البلاغة وتقسيمها الى معان وبيان وبديع . ولعل سبب ذلك انه في القسم الاول يتحدث عن كلام العرب وأسس نقده ، وفي القسم الثاني يتكلم على اعجاز القرآن ، وهو في هذا يشبه عبدالقاهر الذي اتخذ من المنطق والحجج العقلية أساسا في كتابه « دلائل الاعجاز » ومن الذوق والنزعة الفنية منهجا في كتابه « أسرار البلاغة » : يضاف الى ذلك أن مصادر العلوي جمعت بين كتب المدرسة الادبية والمدرسة الكلامية ،

قال وهو يتحدث عن البيان : « ولم أطالع من الدواوين المؤلفة فيه مع قلتها ونزورها الا اكتبة اربعة : اولها كتاب « المثل السائر » للشيخ أبي الفتح نصر بن عبدالكريم المعروف بابن الاثير . وثانيها كتاب «التبيان» للشيخ عبدالكريم . وثالثها كتاب « النهاية » لابن الخطيب الرازي . ورابعها كتاب « المصباح » لابن سراج المالكي . وأول من أسس من هذا العلم قواعده وأوضح براهينه وأظهر فوائده ورتب أفانينه الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبدالقاهر الجرجاني . فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد وهد من سور المشكلات

بالتسوير المشيد ، وفتح أزهاره من أكمامها ، وفتق أزراره بعد استغلاقها واستبهامها . فجزاه الله عن الاسلام أفضل الجزاء ، وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والاجزاء . وله من المصنفات فيه كتابان احدهما لقبه بدلائل الاعجاز والاخر لقبه بأسرار البلاغة ، ولم أقف على شيء منهما مع شغفي بحبهما وشدة اعجابي بهما الا ما نقله العلماء في تعاليقهم منهما »(١١) . فالمثل السائر وأسرار البلاغة يمثلان الاتجاه الادبي ، وقد كان للكتاب الاول تأثير كبير في الطراز . ونهاية الايجاز والمصباح ودلائل الاعجاز تمثل النزعة الكلامية وتقسيم البلاغة الى مباحثها المعروفة ومعالجتها بأسلوب عقلي ، وقد كان لهذه الكتب نصيب كبير في تقسيم العلوي لمباحث البلاغة وبحث اقسامها . والتبيان من الكتب التي جمعت بين دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة ، فهو كلامي أدبي ، وبذلك تلون كتاب الطراز للعلوي بهذين اللونين مع انه عاش في عهد سيطرت فيه النزعة الفلسفية وساد المذهب الاعتزالي في البيئة التي عاش فيها يحيى بن حمزة العلوي وهي بيئة اليمن .

لقد اتضح الاتجاهان ويدخل فيهما كل مذهب بلاغي أو نقدي اخر على الرغم من الخصائص العامة التي امتازت بها البيئات العربية والاسلامية ، ومع ان تعدد المذاهب ظهر في العصور المتأخرة غير ان وحدة

البحث تبلورت في اتجاهين أو مدرستين هما : المدرسة الكلامية والمدرسة الادبية . وليظهر الفرق بين الاتجاهين واضحا لابد من عرض مثال يصور البحث البلاغي في القرن السابع للهجرة وهو القرن الذي قسمت فيه البلاغة الى علومها الثلاثة ودخلتها المقاييس الكلامية والتحديدات المنطقية والنزعات العقلية : وخير من يمثل الاتجاهين في القرن السابع السكاكي صاحب « مفتاح العلوم » وابن الاثير صاحب « المثل السائر » .

قسّم الاول البلاغة الى علمين متميزين هما : علم المعاني وعلم البيان ، وحصر موضوعات كل علم حصرا منطقيا ، الحق بهما البديع الذي عده وجوها يؤتي بها لتزيين الكلام ، وادخل الاساليب الكلامية والفلسفية في معالجة القضايا واسرف في الايجاز . وقسم الثاني البلاغة أو البيان الى الصناعة اللفظية وهي الالفاظ وبعض فنون البديع كالسجع ، والتجنيس ، والترصيع ، ولزوم مالا يلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها ، والمعاظلة اللفظية ، والمنافرة بين الالفاظ في السبك . والصناعة المعنوية وهي الاستعارة ، والتشبيه ، والتجريد ، والالتفات ، والايجاز ، والاطناب ، والتكرير ، والكناية ، والتضمين ، والسرقات وغيرها . ولم يحصر الموضوعات حصرا منطقيا دقيقا ولم يدخل الاساليب الكلامية والفلسفية في بحث القضايا ، لانه كان ثائرا على

تلك الاساليب وكان يعد ابن سينا والفارابي وغيرهما رجالا أضلهم ارسطو وافلاطون .

هذه نظرة عابرة في منهج كل واحد من الرجلين ؛ أما معالجة الموضوعات فتتضح في عرض الاستعارة عندهما . بدأ السكاكي هذا الفن الذي أدخله في علم البيان بتعريفه قائلا : « هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الاخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بأثباتك للمشبه ما يخص المشبه به »(١٢) . ويدخل في هذا التعريف القسمان الاساسيان للاستعارة وهما : الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية . وقد أوضح ذلك بالتمثيل الذي ذكره بعد التعريف فقال : « كما تقول في الحمام أسد ، وأنت تريد به الشجاع مدعيا أنه من جنس الاسود ، فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو أسم جنسه مع سد طريق التشبيه بأفراده في الذكر » وهذا مثال التصريحية، اما المكنية فمثالها كما قال : « أو كما تقول ان المنية أنشبت أظفارها وانت تريد بالمنية السبع بأدعاء السبعية لها وانكار أن تكون شيئا غير سبع ، فتثبت لها ما يخص المشبه به وهو الاظفار » . ثم تحدث عن سبب تسمية هذا النوع من المجاز استعارة وتعرض لما ذكره عبدالقاهر من دخول الاستعارة في المجاز العقلي أو المجاز اللغوي . وقسمها الى عدة اقسام ، قال : « ان الاستعارة تنقسم الى مصرح بها ومكني عنها ، والمراد بالاول هو أن يكون

الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به ، والمراد بالثاني أن يكون الطرف المذكور هو المشبه . والمصرح بها تنقسم الى تحقيقية وتخييلية والمراد بالتحقيقية أن يكون المشبه المتروك شيئا متحققا اما حسيا واما عقليا ، والمراد بالتخييلية أن يكون المشبه المتروك شيئا وهميا محضا لا تحقق له الا في مجرد الوهم ، ثم تقسم كل واحدة منهما الى قطعية ، وهي أن يكون المشبه المتروك متعين الحمل على ما له تحقق حسي أو عقلي ، أو على ما لا تحقق له البتة الا في الوهم . والى احتمالية ، وهي أن يكون المشبه المتروك صالح الحمل تارة على ماله تحقق ، وأخرى على مالا تحقق له . فهذه أقسام أربعة : الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع ، الاستعارة المصرح بها التخييلية مع القطع ، الاستعارة المصرح بها مع الاحتمال للتحقيق والتخييل ، الاستعارة بالكناية . ثم أن الاستعارة ربما قسمت الى أصلية وتبعية ، والمراد بالاصلية أن يكون معنى التشبيه داخلا في المستعار دخولا أوليا ، والمراد بالتبعيةان لا يكون داخلا دخولا اوليا،وربما لحقها التجريد فسميت مجردة أو الترشيح فسميت مرشحة » (١٢) . ثم تكلم على هذه الاقسام الثمانية ، وذكر لكل واحد أمثلة قليلة ، ومعظم هذه الامثلة مقتطع من أمثلة عبدالقاهر الجرجاني . ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى وهو من شواهد الاستعارة المصرح بها المحتملة للتحقيق والتخييل :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله
وعـري أفـراس الصبـا ورواحلـه

قال السكاكي : « أراد أن يبين انه أمسك عما كان يرتكب أوان الصبـا وقمـع النفس عن التلبس بذلك معرضا الاعراض الكلي عن المعاودة لسلوك سبيل الغي وركوب مراكب الجهل فقال : « وعري أفراس الصبا ورواحله » أي : ما بقيت آلة من آلاتها المحتاج اليها في الركوب والارتكاب قائمة كأيما نوع فرضت من الانواع حرفة أو غيرها متى وطنت النفس على اجتنابه ورفع القلب رأسا عن دق بابه وقطع العزم عن معاودة ارتكابه فتقل العناية بحفظ ما قوام ذلـك النـوع به من الالات والادوات ، فترى يد التعطيل تستولي عليهـا فتهلك وتضيع شيئا فشيئا حتى لا تكاد تجد في أدنى مـدة أثرا منها ولا عثيرا ، فبقيت لذلك معراة لا آلة ولا أداة . فحق قوله : « أفراس الصبا ورواحله » أن يعد استعارة تخييلية لما يسبق الى الفهم ويتبادر الى الخاطـر من تنزيل « أفراس الصبا ورواحله » منزلة أنياب المنية ومخالبها . وان كان محتمل احتمالا بالتكلف أن تجعل الافراس والرواحل عبارة عن دواعي النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات أو عن الاسباب التي قلما تتأخـذ في اتباع الغي وجر أذيال البطالـة الا أوان الصبا »(١٤) .

وبدأ ابن الاثير بحث الاستعارة بالكلام على رجوعها الى المعنى لا الى اللفظ كالتجنيس وقسم المجاز الى قسمين : توسع في الكلام وتشبيه ، والتشبيه ضربان : تشبيه تام وتشبيه محذوف ، فالتشبيه التام أن يذكر المشبه به ، ويسمى استعارة . وفرق بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الاداة ، وعرف الاستعارة بقوله : « والذي عندي من ذلك أن يقال : حد الاستعارة نقل المعنى من لفظ الى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول اليه ، لانه اذا احترز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة وكان حدا لها دون التشبيه : وطريقه انك تريد تشبيه الشيء بالشيء مظهرا ومضمرا وتجيء الى المشبه فتعيره اسم المشبه به وتجريه عليه(١٥) . ولم يقسم الاستعارة الى التصريحية والمكنية والتخييلية والتحقيقية وغير ذلك مما ذكره السكاكي وانما تحدث عن أقسام المجاز التي ذكرها الامام الغزالي وقال انها ترجع الى ثلاثة أنواع : التوسع والتشبيه والاستعارة . ثم بدأ بالامثلة التي يستفيد منها المتعلم مالا يستفيده ذكر الحد والحقيقة ، وهي أمثلة كثيرة بدأها بقوله تعالى : « الر ، كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور » (١٦) وقال : « فالظلمات والنور استعارة للكفر والايمان ، أو للضلال والهدى ، والمستعار له مطوي الذكر كأنه قال : لتخرج الناس من الكفر الذي هو كالظلمة الى الايمان الذي هو كالنور »(١٧) .

وهذا تحليل واضح لقوله تعالى يبين الاستعارة فيه من غير استخدام الاساليب العقلية او الكلامية في العرض والتحليل وقال معلقا على ابيات ديك الجن .

لما نظرتِ اليّ عن حَدَق المها
وبسمت عن متفتح النوار

وعَقَدت بين قضيبِ بانٍ أهيفٍ
وكثيبِ رملٍ عقدة الزنّارِ

عفرت خدي في الثرى لك طائعا
وعزمت فيك على دخول النار

« وهذه الابيات لا تجد لها في الحسن شريكا ، ولان يسمى قائلها شحروراً أولى من أن يسمى ديكا »(١٨) . وقال عن بيت ديك الجن :

واقحوانٍ بفيك منتظمٍ
على شبيه من رائق الخَمْرِ

« المستعار له هو الثغر والريق »(١٩) . وقال عن بيت البحتري :

وصاعقةٍ في كفه تنكفي بها
على ارؤسِ الاعداء خَمسُ سحائبِ

« وهذا من النمط العالي الذي شغلت براعة معناه وحسن سبكه عن النظر الى استعارته ، والمراد

بالسحائب الخمس الاصابع »(٢٠) . وكان السكاكي قد قال عن هذا البيت : « أنظر حين اراد استعارة السحائب لانامل يمين الممدوح تفريعا على ما جرت به العادة من تشبيه الجواد بالبحر الفياض تارة وبالسحاب الهطال أخرى ماذا صنع ؟ ذكر ان هناك صاعقة ثم قال: « من نصله »(٢١) فبين أن تلك الصاعقة من نصل سيفه ، ثم قال : « على أرؤس الاقران » ثم قال : « خمس » فذكر العدد الذي هو عدد جميع انامل اليد ، فجعل ذلك كله قرينة لما اراد من استعارة السحائب للانامل »(٢٢) . وهذا الشرح أكثر توضيحا من كلام ابن الاثير ، وأقرب الى مدارك المتعلمين ، وان كان الاول يمس الجانب الفني مسا رقيقا ويترك السامع يسبح في الخيال .

وتظهر الموازنة بين السكاكي وابن الاثير في بحث الاستعارة ان الاول يميل الى الحد الجامع المانع وهو مهم في الدراسة العلمية ، وأن الثاني يومىء الى معنى الاستعارة من غير ضبط لاركانها وتحديد لاقسامها . وتبدو استفادة السكاكي من المصطلحات العلمية في تقسيم الاستعارة فهو يذكر التحقيق والتخييل ، والاصلي والتبعي ، والتصريح والكناية ، والقطع ، والحمل ، والحسي والعقلي ، وليس في كلام ابن الاثير شيء من ذلك لانه ينفر من هذه التقسيمات والمصطلحات التي لا تخدم الفن الادبي .

ويبدو الجور على الناحية الادبية في شواهد السكاكي وامثلته ، فهو لم يذكر الا أبياتا قليلة للاستعارة بأنواعها الثمانية ، وذكر ابن الاثير عشرات الابيات الشعرية والقطع التي تجاوزت البيت والبيتين ، وهذه من أهم سمات ابن الاثير وخصائص المدرسة الادبية التي أكثرت من النصوص . ويظهر تحكم الذوق في التعليق على النصوص عند ابن الاثير ، فهو يكتفي بعبارة في أغلب الاحيان ولا يسرف في المماحكة التي شغف بها السكاكي حبا وأحال مباحث البلاغة ميدانا للجدل والتأويل .

ان هذه الموازنة العجلى توضح اختلاف المدرسة الكلامية عن المدرسة الادبية في التعريف والتقسيم والامثلة والتحليل ، وهو اختلاف ينبع من طبيعة المنهج الذي اتبعته كل مدرسة ، ومن ثقافة المؤلف وذوقه ، وهو اختلاف تقتضيه الدراسات الادبية لولا انه يسرف في التمحل والتحكم العقلي عند أصحاب المدرسة الكلامية ويوغل في الايجاز أو اللمحة عند أصحاب المدرسة الادبية . وقد ادى ذلك الى انحسار المدرسة الادبية وسيطرة المدرسة الكلامية بعد أن توقفت الحياة الادبية وجنح الادباء الى التقليد ، وبعد أن سادت شروح التلخيص والمنهج التعليمي المعتمد على القواعد والتقسيمات .

(٥)

المناهج

استقر البحث البلاغي بعد القرن السابع للهجرة على ما رسمه السكاكي في القسم الثالث من « مفتاح العلوم » ولم تنفع صرخة السبكي في مقدمة كتابه « عروس الافراح » وظل « تلخيص » الخطيب القزويني عمدة البلاغيين مع أن البديعيات ظهرت في ذلك العهد وكان منهج شروحها أقرب الى كتاب « البديع » لابن المعتز ، و « البديع في نقد الشعر » لاسامة بن منقذ ، و « بديع القرآن » و « تحرير التحبير » لابن أبي الاصبع المصري ، وأن كتاب « المنزع البديع » لابي محمد القاسم السجلماسي أخذ طريقه الى البلاغة وتوزعت موضوعاته فيه الى عشرة أنواع ضمت الفنون المختلفة : ولكن أمثال هذه الكتب لم تؤثر في منهج البحث وظل « التلخيص » وشروحه أساس الدارسين والمؤلفين .

ومنهج التلخيص لا يختلف عن منهج « مفتاح العلوم » اختلافا كبيرا (١) ، بدأه القزويني بمقدمة في فصاحة المفرد والكلام ، وعرف البلاغة بقوله : « البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته » وذكر أن مقامات الكلام متفاوتة ، وأن البلاغة راجعة الى اللفظ بأعتبار افادته المعنى بالتركيب ، ولها طرفان :

أعلى وهو حد الاعجاز وما يقرب منه ، وأسفل وهو ما اذا غير الكلام عنه الى ما دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات ، وبينهما مراتب كثيرة وتتبعها وجوه أخر تورث الكلام حسنا .

وقسم البلاغة الى ثلاثة علوم :

الاول : علم المعاني ، وهو « علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال » . وحصره في ثمانية ابواب : احوال الاسناد الخبري ، واحوال المسند اليه ، وأحوال المسند ، وأحوال متعلقات الفعل ، والقصر ، والانشاء ، والفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة .

والثاني : علم البيان ، وهو « علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه » . وادخل في هذا القسم الدلالات ، وقال ان دلالة التشبيه وضعية ، ودلالة المجاز عقلية . وقسم البيان الى التشبيه والمجاز بانواعه والكناية .

والثالث : علم البديع ، وهو « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة » وهو ضربان : معنوي ولفظي ، ومن المعنوي : المطابقة ، ومراعاة النظير ، والارصاد ، والتورية ، والمبالغة ، والمذهب الكلامي ، وحسن التعليل . ومن اللفظي : الجناس ، ورد العجز على الصدر ، والسجع ، والموازنة ، ولزوم مالايلزم .

وختم كتابه ببحث السرقات الشعرية وما يتصل بها من الاقتباس والتضمين والحل والعقد والتلميح ، وعقد فصلا في حسن الابتداء ، وحسن التخلص ، وحسن الانتهاء .

ولم يخرج القزويني في كتابه « الايضاح » عن هذا المنهج ، ولم يغير الشراح هذا الترتيب ، وبذلك بقيت البلاغة خاضعة لمنهج السكاكي وتابعيه كالقزويني والتفتازاني والسبكي ، وظلت تدرس بهذه الصورة حتى مطلع القرن العشرين . وقد حاول الامام محمد عبده أن يعيد الى البحث البلاغي رواءه وأن يقوم ما أعوج من مناهج البحث وطرائق التدريس ، واخذ يدرس في الازهر الشريف كتابي « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » وطبع الكتابان ولكن أساتذة الازهر أحجموا بعد الامام عن تدريسهما وعاد منهج القزويني وشراح التلخيص .

وحاول المحدثون أن يضعوا مناهج بحث البلاغة الجديدة بعد أن وقفت عند الرسوم التي حددها السكاكي والقزويني ، ومن هؤلاء **طه أحمد ابراهيم** الذي لم تطبع محاضراته في البلاغة ، **وامين الخولي** الذي يرى أن التقسيم القديم لا أساس له ولا غناء فيه ، لان البحث البلاغي ينبغي أن يشمل الكلمة والجملة والفقرة والقطعة لا البحث في الجملة والجملتين ، وأن ما حشدته طريقة العجم وأهل الفلسفة فيها من مقدمات

منطقية واستطرادات فلسفية مختلفة ينبغي أن تبعد وتضم الى البلاغة مكانها مقدمات جديدة لابد منها لدراسة فنية تقوم على الاحساس بالجمال والتعبير عنه. وهذه المقدمات تتعلق بعلم النفس وأثره في التعبير الادبي والوجدان وعلاقته بمظاهر الشعور من ناحية العمل الفني وبالخيال والذاكرة والاحساس والذوق . ثم تبدأ بعدها دراسة البلاغة على منهج صحيح من غير تفريط بالتراث والبلاغة القديمة ، لان التجديد ليس معناه هدم القديم وانما هو البناء بعد الاستعانة به وبما وصلت اليه الحضارة في هذه الايام .

وتجمعت جهود الخولي في كتابه « فن القول » الذي كان توجيها منهجيا شاملا لبحث البلاغة وخلق مدرسة جديدة ، فهو يرى أن بحوث فن القول ينبغي أن تكون ثلاثة أبواب هي : المباديء ، والمقدمات ، والبحوث . يدرس في الاول تعريف فن القول وغايته وصلته بغيره من الدراسات ، ويدرس في الثاني مقتبسات من القضايا النفسية التي تعين كثيرا في فهم الادب وتذوقه والاحساس بما فيه من روعة وجمال . ويدرس في الثالث البحث في الكلمة الواحدة من حيث هي عنصر لغوي وما فيها من جمال وجرس موسيقي له أثر في التعبير ، والبحث في الجملة وما فيها من تقديم وتأخير ، وحذف وذكر ، وايجاز . ويضم الثالث أيضا البحث في الفقرة وما فيها من فصل ووصل وما تؤدي من معان وصور ،

والبحث في صور التعبير كالتشبيه والاستعارة والكناية والرمز والايحاء والتورية . وتضم البحوث بعد ذلك الاساليب الفنية في الادب وأنواعها كالاسلوب الرمزي والفكاهي والتهكمي وبهذا المنهج الواسع الذي يشمل معظم مباحث البلاغة القديمة وكثيرا من الفنون الحديثة تدرس البلاغة دراسة جديدة تقوم على تفهم الفن الادبي ومقاييسه البلاغية والنقدية .

وقد فصل أمين الخولي في منهجه الجديد ووضع أبوابه وفصوله ومفرداته في خاتمة كتابه « فن القول » وقال عنه : « تلكم هي خطة فن القول وتنسيق بحوثه لا نقول انها في صورتها الاخيرة بل نقول انها تخطيط لمحاولة نأمل أن تظل أبد الدهر لو أمكن ذلك رهن التغيير والتعديل وهدف التجديد والتحسين ، يضيف اليها ويحذف منها وينسقها من تهيأت له القدرة الصادقة على ذلك وكانت له فيه بصيرة خبيرة ليظل هذا الدرس للفن القولي صدى لحياة أهله وسبيلا لتحقيق غاياتهم في الحياة الوجدانية الراقية »(٢) .

وهذا المنهج قديم في مادته جديد في منهجه ، ويعد من أحسن ما جاء به المحدثون غير أن المرحوم الخولي أسرف في المقدمات الفنية والنفسية كما أسرف القدماء في المقدمات الفلسفية والمباحث الكلامية والمنطقية فأخرجت البلاغة عن هدفها وأبعدتها عن فن القول الذي يريده الخولي . ولعل شيوع علم النفس حينما وضع منهجه

دعاه الى هذا الاهتمام الكبير به ، وتكاد الدراسات الادبية الحديثة تبتعد عن هذا المنحى وتتجه اتجاها اخر تخلص فيه للنزعة الادبية والتحليل المعتمد على العلاقات بين الكلمات والجمل وهذا ما سماه عبدالقاهر الجرجاني النظم وما يسميه المعاصرون البنيوية او البنائية(٢) . وقد يتغير هذا الاتجاه في السنوات القادمة ، وقد تظهر تيارات جديدة ترى في البنيوية افسادا للادب .

أما القسم الثالث وهو البحوث فقد وفق فيه الخولي توفيقا كبيرا ، غير ان بعض ما أدخله في الكلمة يدخل في تركيب الكلام او ما سماه القدماء علم المعاني مثل التعريف ووضع المضمر موضع المظهر والعكس والالتفات والقصر والتوسع والتغليب والاستفهام والامر والنهي والنداء وخروج الاسلوب الانشائي عن أغراضه الحقيقية . وموضع ذلك كله الجملة أو قسم الاسلوب وبناء العبارة ، ويدخل فيها ما سماه الخولي « الفقرة » وهو دراسة الفصل والوصل والايجاز والاطناب .

وأدخل في الايضاح المعلن التشبيه والاستعارة والكناية والتجريد والقلب واسلوب الحكيم والمبالغة وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتدبيج والتهييج والالهاب والتهكم والفكاهة والتجاهل ، وليس موضع هذه الفنون الايضاح المعلن لان كثيرا منها ولاسيما التشبيه ايضاح والاستعارة والكناية واسلوب الحكيم من التخييل ،

وليس في التمثيل ايضاح معلن بل هو تصور يعتمد على المتلقي ، وقد يكون عنده ايضاحا وقد يكون عنده ابهاما ، ولا تخرج الفنون الاخرى عن التصور والتخييل . وقد يكون قسم صور التعبير المظللة اولى بها لان الرمز والايماء من الكناية كما ذهب اليه القدماء ، ومثل ذلك الالغاز والتورية .

ولا تدخل الاقسام الاخرى في البلاغة وانما هي من الدراسات الادبية والنقدية ، فالشعر وموضوعاته وخصائصه ، والنثر وانواعه تدخل في النقد أو الادب ، ومثل ذلك الالفاظ والمعاني والعلاقة بينها . وللاساليب الادبية موضعها في كتب الادب والنقد .

ان المنهج الذي وضعه الخولي للبلاغة يتسع لكثير من الموضوعات وهو منهج جيد قوامه حفظ القديم وتطويره وضم الجديد وتيسيره ، ولكن الخروج عن هدف البلاغة في هذه الصورة لا يخدم هذا الفن لانه يحيله موضوعا اخر قد يكون بعيدا عن البيان . ولعل المرحوم الخولي تأثر بالكتب المدرسية التي كانت تدرس في المدارس الاوربية ابان القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وهي كتب لم توضع لرصد المناهج ودقتها وانما هدفها تعليم الناشئة في مرحلة الدراسة الاولى . وليست البلاغة أو فن القول من الموضوعات التي ينبغي أن تذوب في دراسات أخرى ، لانها عمدة الاديب البليغ ومفتاح فهم اعجاز كتاب الله وادراكه ، ولا يصح ابعادها عن

القرآن الكريم أو الغرض الديني كما تفعل أقوام أخرى ثارت على الدين وتركت كتب السماء وراءها ظهريا .

ومن الذين وضعوا منهجا لدراسة البلاغة **احمد الشايب** ، وكان كتابه « الاسلوب » ثمرة خبرة طويلة في درس البلاغة وتدريسها . وقد وضع في ضوء هذه الخبرة والتجارب منهجه الجديد . ويرى أن ينحصر موضوع علم البلاغة في بابين أو كتابين : الاسلوب ، والفنون الادبية ، فيدرس في الاسلوب القواعد التي اذا اتبعت كان التعبير بليغا أي واضحا مؤثرا ، وتدرس الكلمة والصورة والجملة والعبارة وعناصر الاسلوب وانواعه وصفاته ومقوماته وموسيقاه . وفي هذا القسم توضع البلاغة العربية ، فعلم المعاني يدخل في بحث الجملة وعلم البيان وأغلب البديع يدخل في باب الصورة وتبقى المباحث الاخرى مهملة في هذه الكتب التي انتهت اليها الدراسة البلاغية . وفي الفنون الادبية وقد تسمى قسم الابتكار ، تدرس مادة الكلام واختيارها وتقسيمها وتنسيقها وما يلائم كل فن من الفنون الادبية وقواعدها كالقصة والمقالة والوصف والرسالة والمناظرة والتأريخ. وبالموازنة بين بحوث البلاغة كما دونتها الكتب العربية الاخيرة وموضوعها كما يجب ان يكون ، انتهى الشايب الى أن نصف البلاغة النظرية مفقود في اللغة العربية ، اكثره في قسم الفنون الادبية وباقيه في باب الاسلوب ، وان شطرا من الاسلوب قد درس في المعاني والبيان

والبديع ، وهو شطر على خطورته يعوزه التنسيق . وليست هناك حاجة الى هذه الاسماء التي تسمى علوما خاصة لاجل فصول بلاغية يسيرة ، وان البلاغة العربية تحتاج الى وضع علمي جديد يشمل هذه الابواب والفنون ويصل بينها وبين الطبيعة الانسانية وملابساتها الزمانية والمكانية حتى يخدم الادب ، وان الادباء هم أولى الناس بدرس البلاغة حتى يخلصوها من أساليب الفلاسفة ومذاهبهم والغازهم ، فذلك هو الذي افسد البلاغة وحولها بحوثالفظية عقيمةاشبه بالرياضيات والكيمياء(٤) .

ولم يخرج الشايب كثيرا عن منهج الخولي ورأيه في القسم الاول الخاص بالاسلوب ، أما القسم الاخر فلا مسوغ لادخاله في البلاغة لان موضعه دراسات خاصة تتصل بالفنون الادبية .

ويرى **عبدالله العلايلي** أن ينهج في دراسة البيان الجديد احد وجهين :

الاول : الغاء كل مباحثه واصطلاحاته سوى التشبيه والكناية فأن ما بقي يرجع اليهما من أقرب الطرق ، فهذه الاستعارة بالكناية يمكن أن ترد الى التشبيه الكنائي فيقال في مثل :

واذا المنية أنشبت اظفارها

الفيت كل تميمة لا تنفع

شبهت المنية بشيء له أظافر وأرسل كناية عن الامساك في دقة وشدة تعلق ، وما وراء هذا من التخييل تخيل . او بلا ملحظ التشبيه اصلا وانما من اول الامر يقال : جعل للمنية أظفارا كناية عن دقة التعلق وعسر الخلاص .

الثاني : الى حقيقة ومجاز ، وكل منهما كناية وتجريد ، والكناية الحقيقية تشمل الكناية البسيطة والتشبيه والمجاز المركب . والكناية والمجازية تشمل كل كناية انبنت على تشبيه ، والكناية المركبة .

أما علم المعاني فلما كان اللغة بمثابة المنطق فهو يرى أن لا يدرس في كتب القواعد كعلم ، بل يدرس على نهجه في كتب الادب كما هو عند الجرجاني في « دلائل الاعجاز » والزمخشري في « الكشاف » مع تهذيب مباحثه لتكون أدخل في الذوق وأقرب مناطا بالنفس . ويدرس علم البديع كما يدرس علم المعاني (٥) .

وفي هذا الرأي قضاء على كثير من صور التعبير وابتعاد عن البلاغة قد يحرم الادباء أجمل ما فيها ويبعدهم عن التراث الذي ينبغي أن يبنوا عليه أدبهم الجديد . والمجدد هو من قتل القديم درسا وتحقيقا ، واطلع على مناهج البحث الحديثة فأخرج جديدا له صلة بالتراث وارتباط بالحاضر . ولن تقبل أية دعوة غير مبنية على أساس قوي تدعمها الحجج وواقع اللغة ،

ولن يكون اعتراف بمجدد يبني أصوله على الجديد بحجة ان المحدثين أكثر اطلاعا من القدماء وأوسع أفقا ، وكثيرا ما يفقد الجديد صفة الجودة لانه ليس أصيلا .

وتكلم **أدور مرقص** في مقالته « نظرة في قواعد علوم اللغة العربية وآدابها » على أنواع البديع المقترحة، قال : « وقد فكرت في ذلك مليا وقلت ان هذا الفن أصبح معرضا لناموس رد الفعل فهو الان محتاج الى شيء من الاندغام والاندماج عوض ما وقع فيه من التمدد المفرط المحسوب مضلة ومتاهة . ومن ثم اجتهدت في رد أنواعه الى أجناس قليلة يدخل تحت كل جنس منها عدة أنواع »(٦) . وأمهات الاجناس البديعية التي تنبه لها : الموافقة ، والمخالفة ، والترتيب ، والمبالغة ، والاستدراج ، والتلميح ، وحسن التعليل ، والايهام ، والتدقيق ، والتوليد ، والكلام الجامع . أما الموافقة فتنطوي على : أنواع الجناس والمراجعة والتوشيح وتشابه الاطراف والتفويف والتصدير ومراعاة النظير والتمثيل والتوجيه والترديد والتكرار والمناسبة والتشبيه والتفصيل والمشاكلة والجمع والتصريع وتشبيه شيئين بشيئين والاتفاق والمماثلة والتسهيم والتطريز والترجيع والتفريع والسجع والتسميط والالتزام وائتلاف اللفظ مع المعنى ومع الوزن وائتلاف المعنى مع المعنى والحذف والتدبيج .

وأما المخالفة فينطوي تحتها : الطباق والمقابلة وايهام التضاد والمناقضة والعكس والتفريق والسلب والايجاب والرجوع والاستدراك .

وأما الترتيب فينطوي تحته : الترتيب والطي والنشر وايهام التناسب والاطراد والتقسيم والتفسير والايضاح وحسن النسق والتشطير والتعديد وجمع المؤتلف والمختلف والمزاوجة والجمع مع التقسيم والجمع مع التفريق .

وأما المبالغة فتشتمل على : التبليغ والاغراق والغلو والقسم وتجاهل العارف والاستثناء وحصر الجزئي والحاقه بالكلي .

وأما الاستدراج فيشتمل على : الافتنان والاستتباع ، والادماج وحسن التخلص وعتاب المرء نفسه .

وأما التلميح فيدخل في دائرته : التلميح والاشارة والاكتفاء والتوجيه والاقتباس والتضمين والابداع والالغاز وبراعة المطلب .

وأما حسن التعليل ففيه : حسن التعليل والالتفات والمذهب الكلامي والاتساع والمغايرة .

وأما الايهام ففروعه : الايهام والمدح في معرض الذم والذم في معرض المدح والتورية والاشتراك والاستخدام .

وأما التدقيق فأقسامه : التشريع والايغال والاعتراض والاحتراس والفرائد أو التنكيت والتكميل.

وأما التوليد ففروعه : التوليد وسلامة الاختراع وحسن الاتباع .

وأما الكلام الجامع ففيه : الكلام الجامع وارسال المثل .

وأضاف جنس الكناية وهو عنده الكناية والتعريض والارداف والايضاح والقول بالموجب .

وهذه الاجناس المنطوية على هذه الانواع لاتقتصر على الالوان المختصة بفن البديع وانما تذكر بعض ما يتصل بعلم البيان وتبقى موضوعات علم المعاني بعيدة عن هذا التصنيف . ويبدو أن الباحث نظر الى البلاغة من خلال البديعيات ولاسيما « خزانة الادب » للحموي.

ويرى **أنيس المقدسي** أن تبويب موضوعات البلاغة القديم لا يفيد كثيرا ولذلك وضع تبويبا اخر ليكون أقرب الى واقع اللغة ، قال : « رأينا أن مقاييس البلاغة لم توضع اعتباطا ولا توقيفا بل ترجع الى اعتبارات نفسية عامة . وقد اهتم علماء العربية قديما بهذه المقاييس وتدارسوها في أقسامها الثلاثة : المعاني والبيان والبديع . وافتن الشعراء والمنشؤون في التأنق بصورها ، على أن العلماء مع توفرهم على درسها

وشرحها لم يعنوا بتبويبها منطقيا يسهل على الباحث فهم حقيقتها والرجوع الى اصولها » (٧) . وبوبها تبويبا جديدا وحصرها في ستة أبواب هي : باب التعادل ويراد به تماثل الفقرات في الجمل وزنا وتركيبا ، وقد يسمى الازدواج ويدخل فيه التوازن والمماثلة والسجع والتسميط والترصيع والتزاوج .

وباب التواطؤ اللفظي : وهو أن تكون الالفاظ على جرس واحد أو من أحرف متشابهة سواء اختلفت في المعنى ام لم تختلف . وتقوم بلاغتها على تنبيه الذهن الى المعنى بمعارضة اللفظين المتجانسين وعلى ما فيهما من حلاوة موسيقية ناشئة عن تجانس الحروف وتآلفها. ويدخل فيه : الجناس والتورية والتصدير والعكس والجمع مع التفريق والمجاورة والطي والنشر .

وباب المغايرة : وهو عكس المشابهة ويراد بها مشابهة بين شيئين ، ومنه التشبيه والتمثيل والاستعارة ومراعاة النظير وتجاهل العارف .

وباب المغايرة : وهو عكس المشابهة ويراد بها الجمع بين المتضادات أو أشباهها ، ويدخل فيه المقابلة والمطابقة والطرد والعكس والتهكم والاستفهام البياني والتغاير والسلب والايجاب . وقد يدخل تحت هذا الباب المناقضة والاستدراك والاستثناء والمجاورة والترديد وغير ذلك من هذه المقابلات .

وباب الخروج عن المعتاد : ويشمل المجاز المرسل والتجريد والالتفات وتقديم ما حقه التأخير وبالعكس وتأخير المتقدم والغلو والمبالغة .

وباب الايماء الى غرض : ويدخل فيه الكناية والتوجيه والاكتفاء والاتفاق والاشارات اللغوية والعلمية والادماج والتذييل والتتميم .

ولا يختلف هذا المنهج كثيرا عن منهج السابق ، فكلاهما عودة الى البلاغة كما حددتها البديعيات ، وتنسيق لموضوعاتها التي جاءت غير منسقة أو موضوعة في أبواب متجانسة . وليس هذان المنهجان ببعيدين عن عمل السجلماسي الذي عاش في القرن السابع للهجرة فقد صنف موضوعات البلاغة ووزعها على عشرة أقسام هي : الايجاز ، والتخييل ، والاشارة ، والمبالغة ، والرصف ، والمظاهرة ، والتوضيح ، والاتساع ، والانشاء ، والتكرير . وأدخل في كل قسم الفنون المتجانسة ، ففي التخييل ـ مثلا ـ أدخل التشبيه والاستعارة والمماثلة والمجاز ، وفي الاشارة وضع الاقتضاب والايهام والتتبيع والكناية والتعرض والتلويح والتنويه والتعمية والايماء واللحن والرمز والتورية . وهو توزيع ملائم لطبيعة الجنس الذي اتخذه عنوانا للباب .

هذه أهم المناهج التي ذكرها المحدثون ، ولعل أقربها الى واقع البلاغة العربية منهج الخولي لانه يقوم على التراث البلاغي والنقدي ويستفيد من المناهج الغربية التي بدأت تدخل الدراسات العربية . ولكن منهج الخولي يحتاج الى اعادة نظر ، وقد أشار ــ رحمه الله ــ الى ذلك لانه يؤمن بأن الحياة الادبية تتطور ، وما هو صالح اليوم قد يكون غير جدير بالاهتمام بعد حين . ولولا اسراف الخولي بالاعتماد على الدراسات المتغيرة وتوزيعه بعض الموضوعات لكان من أدق المناهج ولاصبح عمدة البحث البلاغي الجديد .

ان البحث في البلاغة يقتضي العودة الى التراث واستقرائه وأخذ ما فيه النفع وانارة السبيل . وليست كل الكتب نافعة في هذا الميدان ففي كثير منها ما تخطاه الزمن وما لا يصلح للحياة المعاصرة ولكن جهود البلاغيين تظل أساسا في رسم المنهج وطريقة عرض الموضوعات، ولعل آثار المدرسة الادبية اكثر الكتب نفعا في هذه الدراسة لانها تحمل بذور الذوق الاصيل والنظرة الفنية الصادقة . ولكن البحث البلاغي ليس تذوقا فحسب وانما هو منهج علمي يرصد الفنون وينسقها في أبواب متجانسة ولذلك تكون العودة الى كتب المدرسة الكلامية مهمة لانها تضبط القواعد وتحدد الاصول . والدراسة العلمية الحديثة أحوج ما تكون الى الضبط والتحديد ووضع المعالم في الطريق ، وليس الفن ببعيد عن ذلك

والا ً اصبح خواطر مبعثرة ورسوما باهتة لا تكشف صورة ولا تبين .

وكتاب « الايضاح » للخطيب القزويني وشروح التلخيص تبقى مصدرا اساسيا للبحث البلاغي لان فيها التقسيم العقلي والتحديد المنطقي والعرض الدقيق . ولكنها لا تعكس التصور الجديد اولا ، ولان فيها كثيرا من المباحث الغريبة عن البلاغة ثانيا . واول عمل يقوم به المجدد النظر في تلك الكتب وتجريدها من كل غريب واضافة ما ينفع ويلقى ضوء على الفنون . ويتمثل هذا النظر في مسألتين :

الاولى : المنهج ، وهو صورة من منهج السكاكي وان أجرى فيه القزويني بعض التعديل(٨) . فقد قسم القزويني البلاغة الى مقدمة ومقاصد ، والمقدمة في الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة ، والمقاصد في تبيان المعاني والبيان والبديع . وهذا تقسيم غير دقيق لانه أخرج الفصاحة عن المقاصد وجعلها مقدمة وهي جزء مهم من البحث البلاغي لان الكلمة المفردة عنصر اساسي في أي عمل فني أداته الكلمة ولانها من مقاصد فن القول لا من مقدماته ، وقد اولاها الخولي أهمية من حيث هي عنصر لغوي ، ومن حيث هي جزء الجملة ، ولها وضع يحدده النظم ويخضع للبيئة وللتطور الحضاري ، وكان المتقدمون قد أهتموا بالالفاظ وجرسها وعقد لها ابن سنان في

« سر الفصاحة » وابن الاثير في « المثل السائل » فصولا ولذلك ينبغي ان تبحث في البلاغة الجديدة بحثا عميقا وأن تكون من مقاصدها لا من مقدماتها .

وقسم علم المعاني الى ثمانية أقسام هي : احوال الاسناد الخبري ، واحوال المسند اليه ، وأحوال المسند ، وأحوال متعلقات الفعل ، والقصر ، والانشاء ، والفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة . ووجه الحصر ان الكلام خبر أو انشاء ، لانه اما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لاتطابقه ، أو لا يكون لها خارج ، الاول الخبر ، والثاني الانشاء ، ثم الخبر لا بدله من اسناد ومسند اليه ، وأحوال هذه الاضرب الثلاثة هي الابواب الثلاثة الاولى . ثم المسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلا أو متصلا به أو في معناه كأسم الفاعل ونحوه وهذا هو الباب الخامس . والانشاء هو الباب السادس . ثم الجملة اذا قرنت بأخرى فتكون الثانية اما معطوفة على الاولى أو غير معطوفة وهذا هو الباب السابع . ولفظ الكلام البليغ أما زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد عليه وهذا هو الباب الثامن (٩) .

بهذا الاسلوب حصر بحوث علم المعاني وهو حصر منطقي لولا انه قطع أوصاله ؛ لان ما يطرأ على الخبر يطرأ على الانشاء ، ولعل تقسيمه الى الخبر والانشاء وأحوال الجملة وما فيها من تعريف وتنكير ، وذكر وحذف ، وتقديم وتأخير وقصر وخلافه ــ وفصل

ووصل ، والايجاز والاطناب والمساواة ، وخـروج على مقتضى الظاهر كوضع المضمر موضع المظهر ووضع المظهر موضع المضمر والقلب والاسلوب الحكيم والتغليب والالتفات ـ خير وأجدى لان هذا التقسيم يجمع أجزاء الموضوع الواحد ويوحد بينها وينسقها في عرض بديع .

وقسم علم البيان الى المجـاز والكناية لدلالتهما العقلية وأخرج التشبيه لان دلالته وضعية لا يؤتى بها المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه . ولكنه بحثه كما فعل السكاكي وقدمه لان أحد أنواع المجاز وهو الاستعارة مبني عليه ، وليس في هذه الحجة ما يسوغ اتجاههم ؛ لان التشبيه فن كثير الاستعمال في اللغة العربية وله صور متعددة حفل بها القرآن الكريم وكلام العرب . ان تقسيم علم البيان الى تشبيه ومجاز وكناية من غير ذلك الربط العقلي أنفع وهو يعطي كل فن قيمته وان كان بعضها متصلا ببعض كالاستعارة التي هي تشبيه بليغ حذف فيه المشبه أو المشبه به .

وقسم علم البديع الى ضربين : ضرب يرجع الى المعنى ، وآخر يعود الى اللفظ . وهو تقسيم غير دقيق لان أكثر فنون البديع متداخل . والاقرب الى الدقة أن توزع الالوان المهمة ويدرس بعضها في الالفاظ كالسجع والتصريع والتجنيس والترصيع ولزوم مالا يلزم والموازنة كما فعل ابن الاثير حينما درسها في الصناعة اللفظية ، والخولي حينما أدخلها في الكلمة من حيث هي عنصر

لغوي . ويدرس بعضها مستقلا أو في أبواب تجمع الاشباه والنظائر كما فعل السجلماسي حين ادخل في جنس الاشارة : التلويح والابهام والايماء واللحن والرمز والتورية ، وأدخل في المبالغة : الاغراق والسلب والايجاب والغلو والتجاهل والتجريد والتشكيك والتداخل والملابسة ، وادخل في الرصف : الارصاد والمقابلة والالتفاف والتقسيم والتسهيم ، وأدخل في التكرير ، المشاكلة والمناسبة وتجنيس المماثلة وتجنيس المضارعة وتجنيس التركيب وتجنيس الكناية والتلفيق والترصيع والموازنة والتناسب وغيرها . وتهمل الانواع التي ليس لها تأثير في التعبير ولا تبعث في الكلام رونقا وطلاوة وتضفي عليه بهاء وجمالا ، وقد فعل القدماء مثل ذلك وأهملوا ما لا اثر له في المعنى ولا في روعة الكلام، قال القزويني بعد أن ذكر فنون البديع : « هذا ما تيسر — بأذن الله تعالى — جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث ، وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين منها ما يتعين اهماله لاحد سببين : لعدم دخوله في فن البلاغة نحو ما يرجع في التحسين الى الخط دون اللفظ مع انه لا يخلو من التكلف ككون الكلمتين متماثلتين في الخط ، وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة ، ونحو مالا أثر له في التحسين كما يسمى الترديد . أو لعدم جدواه نحو ما يوجد في كتب بعض المتأخرين مما هو داخل فيما ذكرناه كما سماه الايضاح فأنه في الحقيقة

راجع الى الاطناب ، أو خلط فيه كما سماه حسن البيان . ومنها ما لا بأس بذكره لاشتماله على فائدة وهو شيئان :

أحدهما : القول في السرقات الشعرية وما يتصل بهـا .

والثاني : القول في الابتداء والتخلص والانتهاء . فعقدنا فيهما فصلين ختمنا بهما الكتاب »(١٠) .

فالقزويني أخرج ما لا أهمية له في التعبير ولكنه الحق موضوعات مهمة بالبديع أو بالبلاغة كلها وهي السرقات ، وحسن الابتداء والتخلص والانتهاء . وليست السرقات مما يلحق بالبلاغة وانما هي دراسة حية تعنى بعملية الابداع والابتكار ومعرفة المجدد من المقلد ، ولذلك فأن بحثها في باب مستقل يغني دراستها ويعطيها قيمة كبيرة ويضعها حيث ينبغي أن توضع من الدراسات البلاغية والنقدية . وأما حسن الابداع والتخلص والانتهاء فهي من أصول بناء العمل الفني الذي يسعى فيه منشئه الى الوحدة التي تربط أجزاء القصيدة أو الخطبة أو الرسالة أو المقالة أو القصة ، وبذلك تأخذ هذه الموضوعات الثلاثة موضعا مهما في الدراسات النقدية والادبية .

ان منهج البلاغة كما وصل الى الباحثين في هذا العصر نافع ولكنه لا يحقق الهدف لما في بعض أبوابه من

تمزق سببته النظرة المنطقية والحصر الدقيق . ولعل الملاحظات التي سبقت تنفع في رسم المنهج الجديد ، وهو منهج ينبغي أن يظل مرتبطا بالتراث البلاغي والنقدي عند العرب ويصور الواقع الادبي في هذه الايام .

الثانية : المعالجة ، ويراد بها طريقة القزويني وشراح تلخيصه في دراسة الموضوعات البلاغية . وقد أصبحت البحوث الجديدة لا تحتمل اقحام المباحث الغريبة عن القضية المدروسة ، ولذلك ينبغي تجريد البلاغة من المسائل الكلامية والفلسفية وهي كثيرة في شروح التلخيص ، والابتعاد عن الطرائق المعقدة في الشرح والتحليل لانها تفقد النص قيمته الادبية . فما ينبغي تخلية البلاغة منه الدراسات الفلسفية والكلامية والمنطقية والدلالات والبحث في النسب الكلامية والذهنية والخارجية والجامع وأنواعه والكلام على الحواس الخمس بما يبعد التشبيه عن الهدف ، والتعليلات الفقهية والنحوية التي لا تخدم البحث البلاغي . وتبقى هنالك قضايا كثيرة ينبغي الاخذ بها والاستفادة منها ، ومن ذلك المصطلحات البلاغية التي استقرت وصارت لها دلالة واضحة لان تغييرها يثير الاضطراب ولا يقدم جديدا ، ومنها الاقسام المهمة للفن الواحد لان القدماء استقروها من كلام العرب ولا غناء عنها ، ومنها الفنون التي سبق ذكرها في المنهج ، وهي فنون تمثل الاسلوب العربي البليغ ، أما بعض ما ذكره المتأخرون من الوان

البديع فأهماله اولى لانه لا يمثل كلام العرب وأسلوبه الرفيع . وينبغي أن تستقرى الفنون قبل الحكم عليها، فكم من صور أنكرت لان المتأخرين عنوا بها وهي ماثلة في كتاب العربية الاكبر وفي كلام العرب البلغاء . اي أن مهمة الباحث صعبة ولا يقوى على التجديد الا من وطن نفسه لهذا العمل وقضى فيه زمنا طويلا يقرأ ويعيد النظر ، ويحذف ويضيف ليبقى فن القول متطورا وليظل مرتبطا بكلام العرب .

تلك نظرة في مناهج البحث البلاغي وتبقى مسألة اخيرة تمطي المنهج بعدا جديدا وهو معالجة فنون القول . وقد اتضح في الموازنة بين السكاكي وابن الاثير ان الاول ينحو منحى عقليا في العرض والتحليل ، وان الثاني يسلك مسلكا ذوقيا ، والفرق بين الاتجاهين كبير ولا يغني احدهما عن الاخر لان الباحث ينبغي ان يضع يده على مواطن الجمال والروعة والتأثير في النص الادبي ، ولايكتفي بالاشارة الى ذلك الجمال لانه لا يقنع الدارس ولا يقرّب اليه الموضوع . وقد سادت في هذه الايام البنيوية التي قدح شرارتها الاولى في هذا العصر فردنان دي سوسير واقام اللغة على ما بين كلماتها وجملها من علاقات(١١) . ودخل هذا المنهج في كثير من الدراسات المعاصرة وكان النقد أحد تلك الميادين ولكن المتأثرين بذلك من العرب حوّلوا الادب احصاء للالفاظ وخطوطا بيانية وزوايا قائمة او حادة او منفرجة واقواسا رياضية

واشـــعة تنبعث من عدسات مقعرة أو محدبة ، وطغى المنهج الشكلي وغاب الاحساس بجمال النص وتأثيره في النفوس . وفي كتب البلاغة والنقد ما يعين كثيرا في رسم منهج للتحليل ورصـــد الظواهر الفنية ، ولعل كتابي « دلائل الاعجاز » و « أســرار البلاغة » لعبد القاهر الجرجاني من احســـن الكتب التي تعين الناقد العربي وتحقق الهدف الذي يسعى اليه المجددون . فقد أقام هذا العبقري بلاغته ونقده على نظرية النظم،وهي ليست ببعيدة عن المنهج البنيوي الجديد ولكنها تعطي النص حياة وتبعث في المتلقي شـــعورا بجماله . فالنظم عنـــد عبدالقاهر « تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض »(١٢) أي انه توخي معاني النحو :

وقـــد علمنـــا بأنّ النظـــم ليس سوى
حكـــم من النحـــو نمضـــي في توخيـــه

او كما قال : « واعلم أن ليس النظم الا ان تضع كلامك الوضـع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه واصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التيرسمت لك فلا تخلّ بشيء منها»(١٢) ولكنه لايريد بالنحو ماتعارف عليه المتأخرون من اهتمام بالعامل والبناء والاعراب ، وانما يريد العلاقات القائمـــة بين الكلم ، ولذلك قال : « انّا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير ان ينظر في وجوه كل باب وفروعه فينظر في الخبر الى الوجوه التي تراها في قولك : « زيد منطلق »

و « زيد ينطلق » و « ينطلق زيد » و « منطلق زيد » و « زيد المنطلق » و « المنطلق زيد » و « زيد هو المنطلق » و « زيد هو منطلق » . وفي الشرط والجزاء الى الوجوه التي تراها في قولك ب « ان تخرج أخرج » و « ان خرجت خرجت » و « أن تخرج فأنا خارج » و « أنا خارج ان خرجت » و « انا ان خرجت خارج » . وفي الحال الى الوجوه التي تراها في قولك : « جاءني زيد مسرعا » و « جاءني يسرع » و «جاءني وهو مسرع » أو هو يسرع» و « جاءني قد أسرع » و « جاءني وقد أسرع » ، فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له . وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلا من ذلك في خاص معناه نحو أن يجيء ب « ما » في نفي الحال وب « لا » اذا أراد نفي الاستقبال وب « ان » فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون وب « اذا » فيما علم أنه كائن . وينظر في الجمل التي ترد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء وموضع « ثم » وموضع « أو » من موضع « أم » وموضع « لكن » من موضع « بل » . ويتصرف في التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار ، والاضمار والاظهار فيضع كلا من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له .

هذا هو السبيل ، فلست بواجد شيئا يرجع

صوابه ان كان صوابا وخطؤه ان كان خطأ الى النظم ويدخل تحت هـذا الاسم الا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له . فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بمزية وفضل فيه الا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل الى معاني النحو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من اصوله ويتصل بباب من أبوابه »(١٤) .

فالفرق بين هذه الاساليب ليس فرقا في الحركات وما يطرأ على الكلمات وانما في معاني العبارات التي يحدثها ذلك الوضع والنظم الدقيق (١٥) . وقد طبق عبدالقاهر هذه النظرية على كلام الله وانتهى الى انه معجز بالنظم وقال : « فاذا ثبت الان أن لاشك ولا مرية في أن ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم ، ثبت من ذلك أن طالب دليل الاعجاز من نظم القرآن اذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه ولم يعلم أنها معدنه ومعانه(١٦) وموضعه ومكانه وانه لا مستنبط له سواها وأن لا وجه لطلبه فيما عداها غار نفسه بالكاذب من الطمع ومسلم لها الى الخدع ، وانه ان أبى أن يكون فيها كان قد أبى أن يكون القرآن معجزا بنظمه ولزمه أن يثبت شيئا اخر يكون معجزا به وان لا يلحق بأصحاب الصرفة فيدفع

الاعجاز من أصله . وهذا تقرير لا يدفعه الا معاند بعد الرجوع عن باطل قد اعتقده عجزا والثبات عليه من بعد لزوم الحجة جلدا ، ومن وضع نفسه في هذه المنزلة كان قد باعدها من الانسانية »(١٧) . وحلل النصوص الادبية في ضوء نظرية النظم ، وربط بها صور البيان كالتمثيل والاستعارة والكناية ، ونظر الى السرقات من خلالها ولم يحكم عليها بأخذ المعاني العامة أو الالفاظ وانما بترتيب الكلام واخراجه في صورة جديدة (١٨) .

ومن أمثلة تحليل عبدالقاهر للنصوص قوله في الابيات :

بلونا ضرائبَ مَنْ قد نرى ... فما إن رأينا لفتح ضريبا
هو المرء أبدت له الحادثا ... ت عَزما وشيكا ورأيا صليبا
تنقل في خلقي سؤدد ... سماحا مرجى وبأسا مهيبا
فكالسيف إن جئته صارخا ... وكالبحر إن جئته مستثيبا

« فاذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك ووجدت لها اهتزازا في نفسك فعد فأنظر في السبب واستقص في النظر ، فانك تعلم ضرورة ان ليس الا أن قدم وأخر ، وعرف

ونكر ، وحذف وأضمر ، وأعاد وكرر ، وتوخى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو فأصاب في ذلك كله ثم لطف موضع صوابه وأتى مأتى يوجب الفضيلة . أفلا ترى أن أول شيء يروقك منها قوله : « هو المرء أبدت له الحادثات » ثم قوله : « تنقل في خلقي سؤدد » بتنكير « السؤدد » واضافة « الخلقين » اليه ، ثم قوله : « فكالسيف » وعطفه بالفاء مع حذف المبتدأ لان المعنى لا محالة « فهو كالسيف » . ثم تكريره الكاف في قوله : « وكالبحر » ، ثم أن قرن الى كل واحد من التشبيهين شرطا جوابه فيه ـ أي في كل واحد ـ ثم أن أخرج من كل واحد من الشرطين حالا على مثال ما أخرج من الاخر ، وذلك قوله : « صارخا » هناك و « مستثيبا » ههنا . لا ترى حسنا تنسبه الى النظم ليس سببه ما عددت أو ما هو في حكم ما عددت فأعرف ذلك » (١٩) .

وكان ابن قتيبة قد قال عن الابيات :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومَسَّحَ بالاركان من هو ماسحُ

وشدت على دهم المهارى رحالنا
ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

اخذنا بأطراف الاحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطي الاباطحُ

« هذه الالفاظ ــ كما ترى ــ أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع ، وأن نظرت الى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الاركان وعالينا إبلنا الانضاء ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الابطح » (٢٠) .

وحللها عبدالقاهر تحليلا بديعا وأظهر روعة الاستعارة فيها ، فقال : « أنظر هل تجد لاستحسانهم وحمدهم وثنائهم ومدحهم منصرفا الا الى استعارة وقعت موقعها وأصابت غرضها أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى الى القلب مع وصول اللفظ الى السمع واستقر في الفهم مع وقوع العبارة في الاذن ، والا الى سلامة الكلام من الحشو غير المفيد والفضل الذي هو كالزيادة في التحديد ، وشيء داخل المعاني المقصودة مداخلة الطفيلي الذي يستثقل مكانه والاجنبي الذي يكره حضوره ، وسلامته من التقصير الذي يفتقر معه السامع الى تطلب زيادة بقيت في نفس المتكلم فلم يدل عليها بلفظها الخاص بها واعتمد دليل حال غير مفصح ، أو نيابة مذكور ليس لتلك النيابة بمستصلح . وذلك أن أول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر انه قال : « ولما قضينا من منى كل حاجة » فعبر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فروضها وسننها من طريق أمكنه أن يقصر معه اللفظ وهو طريقة العموم ثم نبه بقوله : « ومسح بالاركان من هو ماسح » على طواف الوداع

الذي هو اخر الامر ، ودليل المسير الذي هو مقصوده من الشعر ، ثم قال : « أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا » فوصل بذكر مسح الاركان ما وليه من زم الركاب وركوب الركبان ثم دل بلفظة « الاطراف » على الصفة التي يختص بها الرفاق في السفر من التصرف في فنون القول وشجون الحديث أو ما هو عادة المتطوفين من الاشارة والتلويح والرمز والايماء ، وأنبأ بذلك عن طيب النفوس وقوة النشاط وفضل الاغتباط كما توجبه الفة الاصحاب وأنسة الاحباب وكما يليق بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الاياب ، تنسم روائح الاحبة والاوطان واستماع التهاني والتحايا من الخلان والاخوان، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة طبق فيها مفصل التشبيه وأفاد كثيرا من الفوائد بلطف الوحي والتنبيه ، فصرح أولا بما أومأ اليه في الاخذ بأطراف الاحاديث من انهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الرواحل وفي حالة التوجه الى المنازل ، وأخبر بعد بسرعة السير ووطاءة الظهر اذ جعل سلاسة سيرها بهم كالماء تسيل به الاباطح وكان في ذلك ما يؤكد ما قبله لان الظهور اذا كانت وطيئة وكان سيرها السير السهل السريع زاد ذلك في نشاط الركبان ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيبا . ثم قال : « بأعناق المطي » ولم يقل « المطي » لان السرعة والبطء يظهران غالبا في اعناقها ، ويبين أمرهما من هواديها وصدورها ، وسائر اجزائها تستند اليها في

الحركة وتتبعها في الثقل والخفة ويعبر عن المرح والنشاط ، اذا كانا في أنفسها بأفاعيل لها خاصة في العنق والراس ويدل عليها بشمائل مخصوصة في المقاديم . فقل الان هل بقيت عليك حسنة تحيل فيها على لفظة من ألفاظها حتى أن فضل تلك الحسنة يبقى لتلك اللفظة ، ولو ذكرت على الانفراد ، وازيلت عن موقعها من نظم الشاعر ونسجه وتأليفه وترصيفه حتى تكون في ذلك كالجوهرة التي هي وان ازدادت حسنا بمصاحبة أخواتها واكتسبت بهاء بمضامة اترابها ، فانها اذا جليت للعين فردة وتركت في الخيط فذة لم تعدم الفضيلة الذاتية والبهجة التي في نفسها مطوية ، والشذرة من الذهب تراها بصحبة الجواهر لها في القلادة واكتشافها في عنق الغادة وصلتها بريق حمرتها والتهاب جوهرها بأنوار تلك الدرد التي تجاورها ولألاء اللآليء التي تناظرها ، تزداد جمالا في العين ولطف موقع من حقيقة الزين ، ثم هي ان حرمت صحبة تلك العقائل وفرق الدهر الخؤون بينها وبين هاتيك النفائس لم تعر من بهجتها الاصلية ولم تذهب عنها فضيلة الذهبية . كلا ليس هذا بقياس الشعر الموصوف بحسن اللفظ وان كان لا يبعد أن يتخيله من لا ينعم النظر ولا يتم التدبر . بل حق هذا المثل أن يوضع في نصرة بعض المعاني الحكمية والتشبيهية بعضا وازدياد الحسن فيها بأن يجامع شكل منها شكلا ، وأن يصل الذكر بين متدانيات في ولادة العقول اياها ومتجاورات في تنزيل الافهام لها »(٢١) .

وقال في البيت :

سالت عليه شعاب الحي حين دعا
أنصـــاره بوجـوه كالدنانـــير

« فانك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها انما تم لها الحسن وانتهى الى حيث انتهى بما توخي في وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك وموازنته لها . وان شككت فاعمد الى الجارين والظرف فأزل كـلا منهــا عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه فقل : « سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره » ثم انظر كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة وكيف تعدم اريحيتك التي كانت وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها »(٢٢)

وجرى عبدالقاهر على هذا المنهج في تحليل النصوص ، وهــو منهج علمي يعتمد على أصــول النحو ومقاييسه ويقتبس من الوجدان ملامحه ورسومه ، وبذلك أقــام هــذا الفــذ البلاغة والنقد على العلاقات بين الكلم او « نظريــة النظم » التي ارتفعت الاصوات بالعودة اليها حينما ظهر المنهج البنيوي واخذ به بعض الدارســين ، وكان قبل ذلك نسيا منسيا .

تلك ملامح عامة للبحث البلاغي عند العرب ، وقد اتضح انه نشأ كغيره من البحوث اللغوية ونما وازدهر ، ثم أصيب بنكسة بعد القرن السابع .

والمنهج الجديد يقتضي العودة الى التراث البلاغي والنقدي ليؤخذ منه ما فيه النفع ، ويوضع منهج يقوم على أساسين :

الاول : اعادة النظر في المنهج القديم وتصنيف فنون القول تصنيفا جديدا ليس فيه اضطراب او مجافاة للنزعة الادبيـــة .

الثاني : اعادة النظر في معالجة الفنون ووضع منهج تحليلي يعتمد على ما بدأه عبدالقاهر الجرجاني ، وهـو منهج يتخذ من العلاقات بين الكلم سبيلا ، ومن الذوق الرفيع دليلا .

وسيظل هذان الاساسان عرضة للنظر حتى يتحقق المنهج البلاغي الدقيق .

الدكتور احمد مطلوب

الهوامش

(١)

النشــأة

(١) اللســان (بلغ) .

(٢) القصص ١٤ .

(٣) الاحقــاف ١٥ .

(٤) النحل ٧ .

(٥) النســاء ٦٣ .

(٦) المفردات في غريب القرآن ص ٦٠ .

(٧) مفتاح العلوم ص ١٩٦ .

(٨) الايضاح ص ٩ ، التلخيص ص ٣٣ .

(٩) الايضاح ص ١١ ، التلخيص ص ٣٦ .

(١٠) الايضاح ص ١٢ ، التلخيص ص ٣٧ .

(١١) مفتاح العلــوم ص ٧٧ .

(١٢) الايضاح ص ٢١٢ ، التلخيص ص ٢٣٥ .

(١٣) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

(١٤) الايضاح ص ٣٢٤ ، التلخيص ص ٣٤٧ .

(١٥) مفتاح العلوم ص ٢٠٠ .

(١٦) ينظر مصطلحات بلاغية ص ٤٩ وما بعدها .

(١٧) الايضاح ص ٩ ، ١١ ، التلخيص ٢٣ ، ٣٦ .

(١٨) الرحمن ١ ـ ٤ .

(١٩) البقرة ٢٠٤ .

(٢٠) مشدودة السك : يعني درعها . الموضونة : المنسوجة كالوضين وهو حزام الرحل المنسوج ، الاتي : السيل . الجديد : الاملس من الارض .

(٢١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٧١ ، ٢٢٧ .

(٢٢) ينظر البيان ج١ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٢٣) ينظر البيان ج ١ ص ٢٢٢ .

(٢٤) ينظر تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ١٩ ، ودروس في البلاغة وتطورها ص ١٠ .

(٢٥) نقد الشعر ص ١٩٦ .

(٢٦) ينظر نقد الشعر ٢١٤ ، وكتاب الصناعتين ص ٩٨ .

(٢٧) البيان ج ١ص ٩٦ .

(٢٨) الرسالة العذراء ـ رسائل البلغاء ص ٢٥٢ .

(٢٩) العمدة ج١ ص ٢٤٢ ، وفي عروس الافراح ج١ ص ١٢٦ : « كلمة تكشف عن البغية » ـ بالغين ـ .

(٣٠) العمدة ج١ ص ٢٤٥ ، عروس الافراح ج١ ص ١٢٧ .

(٢)

الاهـــداف

(١) كتاب الصناعتين ص ١ ـ ٢ .

(٢) أرقلت : أسرعت . الهمرجلة : الناقة . الشيظم : الطويل الجسم الفتي من الابل والخيل والناس . شبرقت : الشبرقة عدو الدابة وخدا . التنوفية : المفازة والارض الواسعة البعيدة الاطراف . الوحى : الصوت الخفي . زيزيم : صوت الجن.

(٣) كتاب الصناعتين ص ٢ ـ ٣ .

(٤) كتاب الصناعتين ص ٣ .

(٥) المثل السائر ج١ ص ٢ .

(٣)

المؤثرات

(١) الحيـــوان ج١ ص ٣٣٥ .

(٢) نقـد الشعر ص ١٩٦ .

(٣) البيان ج١ ص ١١٤ ، عيون الاخبار ج٢ ص ١٧٠ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

(٥) مقالات الاسلاميين ج١ ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

(٦) للتفصيل ينظر مناهج بلاغية ص ٣٩ ـ ٥١ ، واتجاهات النقد الادبي في القرن الرابع للهجرة ص ١١٩ ـ ١٧٩ .

(٧) جامع البيان في تفسير القرآن ج١ ص ٦ .

(٨) الكشاف ج١ ص : ك .

(٩) الطـراز ج١ ص ٥ .

(١٠) مفتاح العلوم ص ١٩٩ .

(١١) عروس الافراح ج١ ص ٥٣ .

(١٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ .

(١٣) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٥٢ ــ ٧٨ .

(١٤) طبقات فحول الشعراء ج١ ص ١٧ ــ ١٨ ، الموشح ص ١٥٦ .

(١٥) الاغاني ج١٨ ص ١٨٤ .

(١٦) المصون في الادب ص ٤ .

(١٧) المثل السائر ج١ ص ٣٨٢ ، وينظر الاستدراك ص ١٣ .

(١٨) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٨١ ــ ١١٨ .

(١٩) الاغاني ج٣ ص ١٥٤ ، ١٩٦ .

(٢٠) البديع ص ٥٨ .

(٢١) العمـدة ج١ ص ١١٧ .

(٢٢) العمدة ج١ ص ٢٠٠ ، وينظر اخبار أبي نواس ص ٥١ .

(٢٣) العمدة ج١ ص ١٣١ .

(٢٤) البديع ص ١ .

(٢٥) البديع ص ٣ .

(٢٦) التفصيل في مناهج بلاغية ص ١٢١ - ١٥٢ .

(٢٧) البيان ج١ ص ١٣٧ .

(٢٨) البيان ج٤ ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢٩) العمدة ج٢ ص ١٠٥ .

(٣٠) العمدة ج٢ ص ١٠٦ .

(٣١) التفصيل في مناهج بلاغية ص ١٥٣ - ٢١١ .

(٣٢) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٢١٢ - ٢٢٢ .

(٣٣) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٣١٩ - ٣٤٨ .

(٣٤) ينظر أدب الكاتب ص ٣ .

(٣٥) الامتاع والمؤانسة ج١ ص ١٠٧ ، معجم الادباء ج٢ ص ١٠٥

(٣٦) ينظر المثل السائر ج١ ص ٢١٠ .

(٣٧) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٢٢٥ - ٣١٥ .

(٣٨) التفصيل في المنزع البديع ص ١٢ ، ٤٣ ، ٥٨ وما بعدها .

(٤)

الاتجـاهات

(١) كتاب الصناعتين ص ٩ .

(٢) حسن المحاضرة ج١ ص ١٥٧ .

(٣) مناهج تجديد ص ١٤٩ .

(٤) المثل السائر ج١ ص ٣١٠ .

(٥) المثل السائر ج١ ص ٣١١ .

(٦) مناهج تجديد ص ٢٤٦ وما بعدها ، دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) مادة بلاغة المجلد الرابع ص ٦٩ .

(٧) عروس الافراح ج١ ص ٥ .

(٨) التفصيل في القزويني وشروح التلخيص ص ٥٠ ــ ٩٢ ، البلاغة عند السكاكي ص ٣٥٠ .

(٩) التفصيل في القزويني وشروح التلخيص ص ٨٦ .

(١٠) البلاغة عند السكاكي ص ١١٢ .

(١١) الطراز ج١ ص ٣ ــ ٤ .

(١٢) مفتاح العلوم ص ١٧٤ .

(١٣) مفتاح العلوم ص ١٧٦ .

(١٤) مفتاح العلوم ص ١٧٨ .

(١٥) المثل السائر ج١ ص ٣٦٥ .

(١٦) ابراهيم ١ .

(١٧) المثل السائر ج١ ص ٣٧٤ .

(١٨) المثل السائر ج١ ص ٣٧٧ .

(١٩) المثل السائر ج١ ص ٣٧٧ .

(٢٠) المثل السائر ج١ ص ٢٨٠ .

(٢١) رواية السكاكي :

وصاعقة من نصله تنكفي بها
على أرؤس الاقران خمس سحائب

(٢٢) مفتاح العلوم ص ١٧٧ .

(٥)

المناهج

(١) التفصيل في القزويني وشروح التلخيص ص ١٦٢ .

(٢) فن القول ص ٢٢٢ .

(٣) التفصيل في الانثروبولوجيا البنيوية ص ٤٩ ، البنيوية لجان بياجيه ص ٦٣ ، البنيوية لجان ماري ص ٢٧ ، ٤٩ ، ٦١ ، مشكلة البنيوية ص ٤٧ ، نظرية البنائية في النقد الادبي ص ٢٨ ، ١٠٢ ، ٢٢٧ ـ ٢٤٠ ، جدلية الخفاء والتجلي ص ١٩ ، ٦٤ ، ٩٣ ، ١٠٨ ، ١٦٨ ، ٢٦٢ .

(٤) التفصيل في الاسلوب ص ٢٨ ـ ٣١ .

(٥) التفصيل في مقدمة أدبية لدرس لغة العرب ص ٤٣ ـ ٤٥ ، تهذيب المقدمة اللغوية ص ٢٨٤ .

(٦) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد التاسع عشر ص ٤٨١ ، مجلة المقتطف المجلد (١٠٢) ص ٢٨٢ .

(٧) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد الثلاثون ص ٣٥ .

(٨) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٣٧٨ وما بعدها .

(٩) الايضاح ص ١٢ ، التلخيص ص ٣٧ .

(١٠) الايضاح ص ٤٠١ .

(١١) التفصيل في المصادر الواردة في هامش رقم ٣ من هذا القسم .

(١٢) دلائل الاعجاز ص : ص .

(١٣) دلائل الاعجاز ص ٦٤ .

(١٤) دلائل الاعجاز ص ٦٤ — ٦٥ .

(١٥) التفصيل في عبدالقاهر الجرجاني ـ بلاغته ونقده ـ ص ٥١ وما بعدها .

(١٦) المدان . المباءة والمنزل .

(١٧) دلائل الاعجاز ص ٤٠٤ .

(١٨) التفصيل في موقف عبدالقاهر من الاعجاز والسرقات في كتاب عبدالقاهر الجرجاني ـ بلاغته ونقده ـ ص ١٧٣ — ١٩٨ ، ٢٤٥ — ٢٦٨ .

(١٩) دلائل الاعجاز ص ٦٧ — ٦٨ .

(٢٠) الشعر والشعراء ج١ ص٦٦ .

(٢١) اسرار البلاغة ص ٢٢ — ٢٤ .

(٢٢) دلائل الاعجاز ص ٧٨ .

المصادر

١ ـ اتجاهات النقـد الادبي في القرن الرابع للهجرة . الدكتور احمـد مطلوب . بيروت ١٩٧٣ م .

٢ ـ اخبار أبي نواس . ابن منظور . بيروت ١٩٦٩ م .

٣ ـ أدب الكاتب. ابن قتيبة. تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد. القاهرة ١٩٥٨ م .

٤ ـ الاستدراك . ضياءالدين بن الاثير . تحقيق الدكتور حفني محمد شرف . القاهرة ١٩٥٨ م .

٥ ـ اسـرار البلاغة . عبـدالقاهر الجرجاني . تحقيق ريتر . استانبول ١٩٥٤ م .

٦ ـ الاسلوب . احمد الشايب . القاهرة . الطبعة الثالثة .

٧ ـ الاغاني . أبو الفرج الاصفهاني . طبعة دار الكتب والمؤسسة العامة بالقاهرة .

٨ ـ الامتاع والمؤانسة . أبو حيان التوحيدي . القاهرة .

٩ ـ الانثروبولوجيا البنيوية . كلود ليفي شـتراوس . ترجمـة الدكتور مصطفى صالح . دمشق ١٩٧٧ م .

١٠ ـ الايضاح ـ الخطيب القزويني ـ القاهرة .

١١ ـ البديع ـ عبدالله بن المعتز . طبعة كراتشكوفسكي . لندن ١٩٣٥ .

١٢ ـ البلاغة عند السكاكي . الدكتور احمد مطلوب . بغداد ١٩٦٤ م .

١٣ ـ البنيوية . جان بياجيه . ترجمة عارف منيمنه وبشير اوبري . بيروت ١٩٧١ .

١٤ ـ البنيوية . جان ماري وآخرون . ترجمة ميخائيل مخول . دمشق ١٩٧٢ م .

١٥ ـ البيان والتبيين . الجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . القاهرة ١٩٤٨ م .

١٦ ـ تاريخ النقد الادبي عند العرب . طـه احمـد ابراهيم . بيروت . الطبعة الثانية .

١٧ ـ التلخيص . الخطيب القزويني . تحقيق عبدالرحمن البرقوقي . القاهرة ١٩٣٢ م .

١٨ ـ تهذيب المقدمة اللغوية . الدكتور أسعد علي . بيروت ١٩٦٨م .

١٩ ـ جامع البيان في تفسير القرآن . الطبري ـ القاهرة ـ .

٢٠ ـ جدلية الخفاء والتجلي . كمال ابو ديب . بيروت ١٩٧٩ م .

٢١ ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ـ السيوطي ـ القاهرة ١٢٩٩ هـ .

٢٢ ـ الحيوان . الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . القاهرة .

٢٣ ـ دائرة المعارف الاسلامية . (الطبعة العربية) .

٢٤ ـ دروس في البلاغة وتطورها. الدكتور جميل سعيد. بغداد ١٩٥١م.

٢٥ ـ دلائل الاعجاز . عبدالقاهر الجرجاني . القاهرة ١٣٧٢ هـ .

٢٦ ـ الرسالة العذراء . ابراهيم بن المدبر . مطبوعة في رسائل البلغاء لمحمد كرد علي .

٢٧ ـ الشعر والشعراء . ابن قتيبة . تحقيق احمد محمد شاكر . القاهرة ١٩٦٦ م .

٢٨ ـ طبقات فحول الشعراء . تحقيق محمود شاكر . القاهرة ١٩٧٤.

٢٩ ـ الطراز . يحيى بن حمزة العلوي . القاهرة ١٩١٤ .

٣٠ ـ عبدالقاهر الجرجاني ـ بلاغته ونقده ـ الدكتور احمد مطلوب . بيروت ١٩٧٣ م .

٣١ ـ عروس الافراح . بهاءالدين السبكي . القاهرة ١٩٣٧ م .

٣٢ ـ العمدة . ابن رشيق القيرواني . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة ١٩٥٥ م .

٣٣ ـ عيون الاخبار . ابن قتيبة . القاهرة ـ دار الكتب .

٣٤ ـ فن القول . أمين الخولي . القاهرة ١٩٤٧ م .

٣٥ ـ القزويني وشروح التلخيص . الدكتور احمد مطلوب . بغداد ١٩٦٧ م .

٣٦ ـ كتاب الصناعتين أبو هلال العسكري . القاهرة ١٩٥٢ م .

٣٧ ـ الكشاف . جارالله الزمخشري . القاهرة ١٩٥٣ م .

٣٨ ـ لسان العرب . ابن منظور .

٣٩ ـ المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر . ضياءالدين بن الاثير . القاهرة ١٩٣٩ م .
٤٠ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .
٤١ ـ مجلة المقتطف ـ القاهرة .
٤٢ ـ مشكلة البنية . الدكتور زكريا ابراهيم . القاهرة .
٤٣ ـ مصطلحات بلاغية . الدكتور احمد مطلوب . بغداد ١٩٧٢ م .
٤٤ ـ المصون في الادب . أبو احمد العسكري . تحقيق عبدالسلام هارون . الكويت ١٩٦٠م .
٤٥ ـ معجم الادباء. ياقوت الحموي. طبعة مرغليوث. القاهرة ١٩٢٣م.
٤٦ ـ مفتاح العلوم . السكاكي . القاهرة ١٩٣٧ م .
٤٧ ـ المفردات في غريب القرآن. الراغب الاصفهاني. القاهرة ١٩٦١م.
٤٨ ـ مقالات الاسلاميين . أبو الحسن الاشعري . تحقيق ريتر . استانبول ١٩٢٩ م .
٤٩ ـ مقدمة ابن خلدون . بيروت .
٥٠ ـ مقدمة لدرس لغة العرب . عبدالله العلايلي . القاهرة .
٥١ ـ مناهج بلاغية . الدكتور احمد مطلوب . بيروت ١٩٧٣ م .
٥٢ ـ مناهج تجديد . امين الخولي . القاهرة ١٩٦١ م .
٥٣ ـ المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع . أبو محمد القاسم السجلماسي . تحقيق علال الغازي . الرباط ـ المغرب ١٩٨٠م.
٥٤ ـ الموشح. المرزباني . القاهرة ١٩٦٥ م .
٥٥ ـ نظرية البنائية في النقد الادبي . الدكتور صلاح فضل . القاهرة ١٩٧٨ م .
٥٦ ـ نقد الشعر . قدامة بن جعفر . القاهرة ١٩٦٣ م .

الموضوعات

المقدمـــــة ٣

النشـــأة ٥

البلاغـــة ٥

الاستدلال العقلي ١١

الاستدلال النقلي ١٢

الاهـــداف ٢١

الهدف الديني ٢١

الهدف التعليمي ٢٣

الهدف النقـدي ٢٥

المـــؤثرات ٢٩

المفسرون والاصوليون ٣٠

اللغويون والنحـاة ٣٧

الشعراء والكتاب ٤٠

الفلاسفة والمتكلمون ٤٩

الاتجـــاهات ٥٥
المدرســة الكلاميــة ٥٦
المدرســة الادبيــة ٥٩
التقــاء المدرســتين ٦٦
موازنة بين المدرستين ٦٩

المنــــاهج ٧٧
المنهــج القديم ٧٧
منهج الخــولي ٧٩
منهج الشــايب ٨٤
منهج العلايلي ٨٥
منهج أدور مرقص ٨٧
منهج القدســي ٨٩
المنهج المقتــرح ٩٢

صدر من الموسوعة الصغيرة

١٠١ ـ الصراع الفكري عند الجاحظ تاليف د . الياس فرح
١٠٢ ـ القنبلـة النيوترونيـة تاليف محمد عبداللطيف مطلب
١٠٣ ـ لمحات من البطولة العربية في شعر الحرب تاليف غانم جواد رضا
١٠٤ ـ الكحول وجسم الانسان تاليف د. اميرة عبدالستار البيروني
١٠٥ ـ العربية تواجه العصر تاليف د . ابراهيم السامرائي
١٠٦ ـ الوقود النووي تاليف د . نعمان النعيمي
١٠٧ ـ افلام الرسوم المتحركة والدمى تاليف رضا الطيار
١٠٨ ـ مدينة بغداد تأليف د. خالص الاشعب
١٠٩ ـ مبيدات الحشرات تاليف د . جليل ابو الحب
١١٠ ـ الجاحـــــظ تاليف د . وديعة طه النجم
١١١ ـ الجزري رائد الميكانيك التطبيقي العربي تاليف ماجد عبدالله الشمس
١١٢ ـ حروف الاضافة في الاساليب العربيـة تاليف يوسف نمر ذياب
١١٣ ـ الغذاء والتطور العلمي للتغذية تاليف محمد عبد السعدي وحميد مجيد العبيدي
١١٤ـ الاشعاع في حياتنا تاليف عبدالرسول مهدي عبرة
١١٥ـ شعر الحرب في عصر الرسالة تاليف . د . نوري حمودي القيسي

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ــ بغداد
(١٣١٣) لسنة ١٩٨٢

دار الحرية للطباعة ــ بغــداد
١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م

Little Encyclopedia
A Fortnightly Cultural Series dealing with various branches of Science, Art, and Literature
Issued by Dar — Al-Jahidh
Al-Khulafä Street — Baghdad

Editor-in-Chief
Musa Kraidi

توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية نصف شهرية تتناول

مختلف العلوم والفنون والاداب

تصدرها دار الجاحظ للنشر

بغداد - شارع الخلفاء

رئيس التحرير: موسى كريدي

الكتاب التاسع

الصناعات النفطية في العراق

دراسة تحليلية في اقتصاديات المكان

تأليف

د. محمد ازهر سعيد السماك

السعر ١٠٠ فلس

دار الحرية للطباعة - بغداد